جزء مدينة ههيا من كتاب

سلسلة علم الاجتماع المعاصر
الكتاب الثاني والعشرون

علم الفولكلور

الجزء الثاني
دراسة المعتقدات الشعبية

دكتور/ محمد الجوهري
استاذ علم الاجتماع
نائب رئيس جامعة القاهرة

١٩٩٠

دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش سوتير - إسكندرية
٤٨٣٠١٦٣ ، ٥

تنويه:

الصفحات الأتية مقتطعة من كتاب

"علم الفلكلور –الجزء الثانى – دراسة المعتقدات الشعبية – ١٩٩٠م دار المعرفة الجامعية – الاسكندرية

للدكتور محمد الجوهرى

أستاذ علم الإجتماع

نائب رئيس جامعة القاهرة

ما تم فصله يخص مدينة ههيا فى فترة معينة من تاريخها الإجتماعى

ما ورد بالكتاب مجرد روايات شفهية يعرض فيه الكاتب ما يجول فى المعتقد الشعبى ولا يجزم بصحة هذا أو ذاك حتى لايقال أننا نروج لمعتقدات دينية غير مقبولة تخص بعض الأضرحة والشخصيات التى يقال أنها دفنت بها

السيد المعداوى

ادمن صفحة تاريخ ههيا والشرقية

سلسلة علم الاجتماع المعاصر
الكتاب الثانى والعشرون

علم الفولكلور

الجزء الثانى

دراسة المعتقدات الشعبية

دكتور / محمد الجوهرى
استاذ علم الاجتماع
نائب رئيس جامعة القاهرة

١٩٩٠

دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش سوتير - إسكندرية
ت : ٤٨٣٠١٦٣

سلسلة علم الاجتماع المعاصر
الكتاب الثاني والعشرون

علم الفولكلور

الجزء الثاني

دراسة المعتقدات الشعبية

تأليف
الدكتور محمد الجوهري
أستاذ ورئيس قسم الاجتماع
ووكيل كلية الآداب ــ جامعة القاهرة

دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش سوتير ــ إسكندرية
ت ٤٨٣٠١٦٣

الموضـــــوع	صفحة
١٣ — العيون والآبار المقدسة	٧٣
١٤ — الاحجار المقدسة	٧٥
١٥ — موكب الولى	٧٥
١٦ — سفينة الولى	٧٦
١٧ — الاضاحى والنذور	٧٧
١٨ — الطقوس والممارسات عند قبر الولى	٨٦
الفصل الثانى : الموالد	٩٥
مقـــــدمة	٩٥
اولا : الجوانب الاقتصادية للمولد	٩٦
ثانيا : الجوانب الدينية للمولد	٩٩
ثالثا : الجوانب الترويحية والفنية للمولد	١٠٢
رابعا : جوانب اخرى للمولد	١٠٤
الفصل الثالث : تقارير خبرات ميدانية فى دراسة الاولياء	١٠٩
مقـــــدمة	١٠٩
التقرير الاول : تقرير عن الاولياء فى قرية مصرية — المنيا ..	١١٥
التقرير الثانى : الحاجة آمنه أم يوسف . ههيا — شرقية ..	١٣٢
التقرير الثالث : الشيخ يوسف العنانى . ههيا — شرقية ..	١٣٩
التقرير الرابع : الشيخ مصطفى ابو النحاس . ههيا — شرقية	١٤٦
التقرير الخامس : الشيخ داود العزب — نزالى جنوب — التوصية — اسيوط	١٤٩
الفصل الرابع : دليل مختصر للدراسة الميدانية للاولياء	١٥٣
مقـــــدمة	١٥٣
١ — سيرة الولى	١٥٤
٢ — الممارسات المتعلقة بالولى	١٥٥
٣ — قدرات الولى	١٥٧
٤ — اشياء تتعلق بالولى	١٥٩
٥ — أخلاق الولى	١٥٩
٦ — الصوفية	١٦٠
٧ — الانبيـــاء	١٦٠
٨ — تبادل الاعتقاد فى الاولياء والقديسين	١٦١

الموضـــــوع	صفحة
١٦ — وصفات خاصة لاصحاب الحرف والمهن المختلفة ..	٢٣٦
١٧ — اغراض متنوعة لتيسير الحياة اليومية	٢٣٧
١٨ — ملاحظة ختامية	٢٤٠
الفصل الرابع : تقارير دراسات ميدانية لبعض المشتغلين بالسحر في الريف المصرى	٢٤٣
مقـــدمة	٢٤٣
التقرير الاول	٢٤٥
التقرير الثانى	٢٥٦
التقرير الثالث	٢٦٣
التقرير الرابع	٢٦٦
الفصل الخامس : دليل مختصر للدراسة الميدانية للسحر	٢٧١
مقـــدمة	٢٧١
موضوعات عامة	٢٧٢
اولا : اركان العملية السحرية	٢٧٣
١ — الســـاحر	٢٧٣
٢ — الاشخاص ذوو القوى السحرية الخاصة	٢٧٣
٣ — الاعمال السحرية	٢٧٤
٤ — تاثير الكلمة	٢٧٤
٥ — المواد والاشياء ذات القوى السحرية الخاصة ..	٢٧٧
٦ — تاثير الاشكال	٢٧٨
٧ — الحمائل السحرية	٢٧٨
٨ — عمليات سحرية خاصـــة	٢٧٩
ثانيا : المظاهر السحرية	٢٧٩
١ — التفاؤل والتشاؤم	٢٧٩
٢ — البركة	٢٨٠
٣ — العين	٢٨٠
٤ — المشاعرة	٢٨٠
٥ — استطلاع الغيب	٢٨٠

الفصل الثالث

تقارير خبرات ميدانية فى دراسة الأولياء

مقـدمة :

أقدم فيما يلى عددا من تقارير زيارات ميدانية لبعض الأوليـاء فى مختلف أنحاء الريف المصرى فى الوجهين القبلى والبحـرى • والسـمة الأولى التى يشترك فيها كل هؤلاء الأولياء أنهم أولياء محليون تمتـد شهرتهم فى داخل قراهم فقط ، ولا تتعداها الى خارج القرية الا بشكل عارض وثانوى • ولكن التكريم الحقيقى لكل من هؤلاء انما قائم أساسا داخل وحداتهم المحلية (قرى) •

وهم جميعا أولياء قرويون - لأن تركيز أى دراسات انما يتم دائما على دراسة الأولياء فى المدن الكبرى ، وعلى كبار الأولياء منهم بالذات • على حين أن مثل هذه الانطبـاعات تؤكد لنا أن هؤلاء الأوليـاء المحليين يجمعون طائفة عريضة من الانماط المتنوعة : ففيها الرجل وفيها المرأة ، وفيها القديم المجهول الاصـل (القادم مع الفتح العـربى لمصر — من الصحابة) وفيها الحديث الذى توفى منذ وقت معلوم • وفيها أصـحاب الأضرحة المقامة على النيل (لحماية قراهم من الفيضـان — بقايا آلهة محلية قديمة) ، وفيها أصحاب الأضرحة العادية بين المقـابر العادية أو قريبا منها • وفيها أولياء بلا موالد (يقتصر تكريمهم على زيارة أسبوعية وبعض الزيارات غير الدورية)، وأولياء لهم موالد هامة نشيطة ومستمرة• وفيها أولياء ينتمون الى طرق صـوفية معينة ، أى أن تكريمهم محل اهتمام ورعاية طريقة صوفية معينة ، وفيها أولياء لا يرتبطون بأى طريقة صوفية • وفيها أولياء يتم تمويل أضرحتهم وموالدهم ذاتيـا ، وأخرى يتولى الانفاق على تكريمهم عائلات من كبار التجار أو الاقطاعيين ••الخ•

وتحت أيدينا بيانات ميدانية عن أكثر من ألف من الأولياء المنتشرين

فى كل أنحـــاء مصر ريفها وحضرها ، شـــمالها وجنوبها ، جمعت بياناتهم بواسطة كاتب هذه السطور أو تلاميذه أو زملائه على مدى فترة زمنية بلغت نحو ستة عشر عاما متصلة • ومكان هذه البيانات أرشـــيف قومى للفولكلور المصرى لابد وأن يرى النور قريبا (بعد أن تحقق دراســات الفولكلور النمو والاستقرار المنشود) ، بحيث تودع فيه كافة المـــواد المجموعة منا ومن غيرنا من مئات الهـــواة والمتخصصين والمهتمين بتراث شعبنا العظيم •

ومن هنا قلت ان البيانات المعروضة فيما يلى هى تقـــارير زيارات ميدانية ، وليست دراسات ، والهدف منها أن تقدم توثيقا وتجسيدا لبعض الملاحظات والأسس العامة التى تكلمنا عنها على امتداد فصول هذا الباب، ويدا بعضها عاما أو مطلقا أو متجاوزا حـــدود الزمان والمكان • وهذه البيانات الميدانية هى الأساس لأى دراسة علمية متوسعة فى المستقبل •

والملاحظة الأساسية على بيانات هؤلاء الأوليـــاء والتى سيلمسها القارىء فى حكاية كل ولى هى بساطة هذه الحكاية وقصرها • فهى بيـــان لبعض الخطوط والاشارات العامة غير المحددة وغير الدقيقة ، وذلك على الاقل بالنسبة للأولياء القدامى المجهولى الأصل (الصحابة أو التابعين) • أما الأولياء الاحدث الذين عاشوا مع الناس ورآهم الناس وســـمعوهم فتحكى تفاصـــيل عن حياتهم ، بل وتنســـب الى بعضهم كرامات أثنـــاء الحياة • أما الأغلبية فكل كراماتهم ظهرت بعد الموت ، أو حتى بعد اقامة الضريح •

ومثل هذه القصص أو حكايات الاولياء البسيطة لا تنمو ، ولا تضاف اليها موتيفات (عناصر) جديدة الا نادرا ، بل ان البعض يزرعون الشك فى بعض تفاصيلها دون مساس بمكانة الولى نفســـها أو فى مجموعها • فسوف نقرأ أن ابن الخادم أو ابن الرجل الكبير (الوجيه) الذى ينفق على الضريح أكثر تشككا فى كرامات الولى أو فى بعض التفاصـــيل التى تروى عن تكريمه وعن أسراره • ولكن الجميع مع ذلك أصحاب مصلحة فى

أن يظل تكريم هذا الولى مزدهرا ومستمرا ومتزايدا أحيانا ، فالخادم أو الرجل الفقير الذى يقوم على رعاية الضريح له مصلحة فى أن يستمر تكريم هذا الولى متصلا ، لانه مصدر رزقه الأساسى . والوجيه (التاجر أو الاقطاعى) الذى ينفق على الضريح وعلى مولد الشيخ له مصلحة فى استمرار هذا التكريم لان ذلك من مقومات وجاهته ، ومن عوامل ترسيخ مكانته بين أهل منطقته ومن وسائل استمتاع هـذا الرجل بالسلام مع نفسه ، حيث يمكنه أن يستمر فى جمع المال بالطرق المختلفة (دون أن يتحرى طهارة اليد دائما) ويفرغ طاقة الخير عنده فى الانفاق على هذا الضريح . ولكن هذه قصة أخرى ليس هذا مجالها .

المهم أننى أريد أن أوضح نقطة دقيقة ، وهى أن الشك قد يتبادر الى نفوس أو الى عقول البعض حول ما يسمعون من حكايات وكرامات وأسرار ، ومع ذلك لا تنعكس تلك الشكوك فى حالة تدهور عام لمكانة الأولياء ، لان كافة الاطراف المتصلة بهؤلاء الأولياء لها « مصالح » فى استمرار هذا التكريم وفى تدعيم مكانة هؤلاء الأولياء .

ومع ذلك فاننى أتجاسر وأقول ان هذا التكريم اذا كان ينحسر ، فانه يبدأ فى الانحسار بين الرجال ، يليهم الشباب والأطفال ، وتبقى النساء فى النهاية . فهن الفئة الاجتماعية الاكثر تخلفا (الاقل تعليما ، وأقل خبرة فى الحياة ، وأقل اطلاعا على شئون العالم الحديث .. الخ) . وهن الفئة الاجتماعية الاكثر اضطهادا ، فهى بين المضطهدين أسوأهم وضعا . ثم ان المرأة كما علمنا فى كل ثقافات الارض الغابرة والمعاصرة هى حافظة التراث وصاحبته وحاملته الاولى والامينة عليه . لهذا لن تخطىء عين أى زائر لأى ضريح ولى فى مصر — ريفها وحضرها — صحة الاتجاه العام الذى أشير اليه هنا ، من أن النساء هن آخر طابور العاملين النشطين فى تكريم الأولياء من بين هذا الشعب . ولعل فى هذا دليل جديد — لن لازال محتاجا الى دليل آخر — على أن نهضة المرأة المصرية هى النهضة الحقيقية لهذا المجتمع ، بل هى مفتاح كل تحديث وترشيد لحياتنا الثقافية والاجتماعية .

ولكن برغم قصر حكاية هؤلاء الأولياء المحليين وبساطتها ، فاننا سنلاحظ أن مركز الثقل الواضح بالنسبة لاى ولى هو الكرامات التى أتاها فى حياته أو بعد مماته • فالكرامات هى الموضوع الذى تتجدد حوله الأحاديث وتتواتر بشأنه الروايات ويكتسب بعضها من حين لآخر خبرات جديدة يمكن أن تتغذى وتتضخم بالتناقل والانتشار • فمجال الكرامات « مفتوح » لأى شخص ، من حقه أن يرى الولى فى المنام ، أو فى مناسبة معينة (حج أو سفر) ، ويشاهد منه ما شاء من كرامات ، ثم يحكيها ، ثم تتناقل وتتضخم • وقد تظل حية تتناقل ، وقد تنسى فتموت ، ولكنها تتجدد فى قصة أخرى ، وهكذا سنة حياة التراث ، خاصة الشفاهى منه • وكرامات الاولياء تراث شفاهى فى المقام الاول ، أما الكرامات المدونة التى أوردنا اشارات لبعضها فى صلب هذا الباب فتمثل تطورا حديثا ، وهى على أى حال تقتصر على نفر قليل من كبار الأولياء ، ودائرة انتشارها محدودة اما لمن يقرأ الكتاب المطبوع ، أو يحضر المولد ويسمع المنشد يروى تلك الكرامات • أما الكرامات التى نعنيها فهى ملك لكل الناس ، وهى فى حالة حركة دائمة يرددها الناس على مسامع بعضهم فى كل مناسبة وكل وقت •

كما توضح الممارسات الشعبية المتصلة بالأولياء فى هذه المنطقة دور بعض الطرق الصوفية فى « انتاج » الاولياء « ورعايتهم » • فهناك طائفة من المشايخ يقومون بعمل جولات مستمرة فى مختلف أنحاء الجمهورية سواء على مستوى المناطق (كمركز أو مدينة مثلا) أو مستوى المحافظات أو مستوى الجمهورية ، حيث ينزلون ضيوفا على أتباعهم • ويسمى هؤلاء الأتباع « الأولاد » • وتكون مثل هذه الزيارات فرصا لاكتساب « أولاد » جدد وتوثيق العلاقات مع « الأولاد » الموجودين •

وتبعا لشهرة هؤلاء المشايخ وقوة أتباعهم ووفقا لعوامل أخرى (مثل حالة الشيخ البلاسى فى قرية الزرزمون مركز ههيا شرقية) يتحول هؤلاء المشايخ بعد موتهم الى أولياء وتبنى لهم أضرحة تختلف حجما تبعا للظروف السابقة •

وهناك عامل آخر كان له شأن كبير فى تدعيم ولاية بعض المشـايخ واكتسابهم هيبة معينة بين أهلهم فى حياتهم وبعد مماتهم ، مما يسر لهم سبيل « الولاية » وأظهر كراماتهم ، وأعنى هنا الأوضـاع الاقتصادية والاجتماعية الاقطاعية فى النصف الاول من القرن العشرين على الاقـل (وهى الفترة التى يمكن توثيقها اعتمادا على بيانات الاخباريين) • فكان هؤلاء المشايخ (منهم مثلا الشيخ البلاسى الذى سبقت الاشـارة اليه والشيخ الشوادفى وأبو هاشم فى منطقة ههيا شرقية ، وكازوريا بجـوار قرية الزرزمون ، والعداوية وشهرتها العدوة — بنى عامر •• الخ) أدوات فى أيدى بعض الاقطاعيين الكبار يستخدمونهم عن طريق منحهم امتيازات مالية كبيرة بالنسبة لظروف الفلاحين فى تلك الاوقات لأسباب لا تخفى على فطنة أحد ، ليس أقلها صبغ عملية الاستغلال الاقطاعى بصبغة شرعية •

وتطورت عملية الامتيازات المالية الى تشجيع علنى الى مصاهرة •• الخ • وأصبحت الصورة الاخيرة لشيخ من هذا النوع : رجـل متيسر ، يكسب قوته بسهولة ، ويتزوج بأكثر من واحدة كل منهن فى قرية من قرى المنطقة ، لتكون مثل هـذه الزوجات بمثابة رواس للشـيخ فى المنطقة ، وبالتالى رواس للاقطاعى نفسه يستند عليها نفوذه فيها •

على أنه قد يحدث رغم هذا الدعم الكبير أن يموت الشيخ دون أن يكتسب الولاية ، ودون أن تتاح له فرصـة اظهار كراماته • ولكن هناك بعض الأساليب التى يتحول بها الشيخ — شيخ الطريقة — بعد موته الى ولى من أولياء الله فى نظر أهل قريته ، أو غيرها من القرى • من ذلك أن يرث طريقته « أولاد » (أتباع) أو أولاد حقيقيون ذوو سـطوة وجاه يتمكنون عن طريقها من فرض تكريمه على الناس ، فيبنون مثـلا ضريحا هائلا ، أو يتفننون فى اقامة مولده ، أو يتوسعون فى الدعاية له ••• الخ •

وهناك فضلا عن هذا كله بعض المشـايخ الذين يتمتعون فى بلادهم بمركز عادى ، حيث يعيشون كسائر الناس أو يكادون ، ولكنهم ينظمون

بذكاء وإمكانيات خاصة زيارات « لأولادهم » فى مناطق معينة بعيدة نسبيا عن بلادهم (مثل الشيخ أحمد أبو عمه فى مدينة ههيا شرقية الذى ينتشر نفوذه حول مدينة طنطا غربية ، وتكثر زياراته ويكثر « أولاده » هناك) . ومن شأن هذه الأساليب أن تمكن لهؤلاء المشايخ بين أهل تلك القرى ، بحيث يتحولون بسهولة — نسبيا — الى أولياء فى حياتهم أو بعد موتهم .

ولذلك أكدت فى أكثر من دراسة وفى أكثر من مناسبة أنه يجب علينا أن نلجأ الى دراسة تاريخ مشايخ الطرق الصوفية وأوضاعها الراهنة للتعرف على الوسائل المختلفة التى تساهم فى تحويل المشايخ المغمورين الى أولياء .

التقرير الأول

تقرير عن الأولياء فى قرية مصرية(*)

أولا — المنطقة التى تقع بها القرية والأولياء بها :

تقع قرية « بنى واللمس » احدى قرى مركز مغاغة محافظة المنيا على شاطىء « البحر اليوسفى » الشرقى فى منتصف المسافة بين مركز مغاغة ومركز بنى مزار بالضبط ، ولكنها لا توجد بحكم موقعها هذا فى المنطقة الملاصقة لنهر النيل تماما بل تبتعد عنه جهة الغرب بحوالى ١٥ كيلو مترا . أى أنها تقع بالقرب من الصحراء الغربية حيث لا يوجد غرب البحر اليوسفى فى هذه المنطقة من الارض الزراعية الا شريط عرضه حوالى ٥ كيلو متر تقريبا تبدأ بعده الصحراء فى الامتداد جهة الغرب . ويبدو أن هذه المنطقة القريبة من الصحراء الغربية تختلف من الناحية الثقافية عن المنطقة الملاصقة لنهر النيل وذلك بحكم الاتصال المباشر بالمدن أو القرب منها على الاقل . كما أن هذه المنطقة تختلف حتما عن المنطقة التى تقع شرق النيل على الساحل الملاصق للصحراء الشرقية ويظهر هذا الاختلاف جليا حتى فى التسمية التى يطلقها الاهالى على هذه المناطق . اذ يطلق على المنطقة من « مغاغة » — التى تقع غرب نهر النيل بحوالى نصف كيلو متر — حتى بداية الصحراء الغربية اسم « الغروب » بينما يطلق على كل الجزر والقرى الواقعة شرق نهر النيل اسم « الشروق » .

المنطقة التى تقع بها القرية تعتبر اذن منطقة ثقافية مميزة الى حد ما ، ويمكن أن نقرر أن البحر اليوسفى لا يعتبر مانعا ثقافيا مثل نهر النيل مثلا ، فالعلاقة بين القرى الواقعة شرقه وغربه علاقة قوية كما أن السمات الثقافية يبدو أنها متشابهة الى حد كبير . بل أنه يمكن القول أن

(*) اعد هذا التقرير السيد / احمد عبد الله زايد المدرس المساعد بقسم الاجتماع بجامعة القاهرة فى عام ١٩٧٦ .

هذه المنطقة قد تتأثر فى بعض الأحيان بالثقافة البدوية حيث نجد أن ثمة علاقات بين بدو الصحراء القلائل فى هذه المنطقة وبين سكان القرى الى درجة أن بعض الأعراف البدوية قد أقحمت نفسها لتحكم العلاقة بين الناس وليس هذا هو موضوعنا الأساسى وهو موضوع جدير بدراسة مستفيضة .

موضوعنا الأساسى هو دراسة بعض المعتقدات المتعلقة بالأولياء فى هذه المنطقة وفى القرية المذكورة بالذات . والأولياء فى هذه المنطقة تنتشر انتشارا كبيرا ، وتوجد الكثير من الممارسات الخاصة بهم والتى تختلف من ولى الى آخر كما أن الأولياء فى المنطقة من أنماط عديدة . فيوجد فى بعض القرى مثلا ولى خاص بشفاء الأمراض يزوره الناس فى ميعاد زيارته المحدد كالشيخ « الغرياني » فى قرية « البجهور » والشيخ (أبو غنيمة) فى قرية « سياقولا » . ويوجد فى بعض القرى أولياء ينسبون الى الصحابة «صحابة رسول الله» الذين ماتوا أثناء الحرب فى فتح مصر خاصة أن المنطقة التى تقع فيها قرية « البهنسا » الشهيرة ، والتى كانت توجد بها بعض الحصون الرومانية التى فتحها المسلمون ، والتى يوجد فيها مئات من الأولياء من هذا النوع الى درجة أن بها ضريحا ينسب الى « عبد الرحمن ابن أبى بكر » وآخر ينسب الى « خولة بنت الأزور » . هذا ويجب التنويه الى أن الولى الذى سنتناوله بالدراسة من هذا النمط . ويوجد نمط ثالث فى هذه المنطقة وهم هؤلاء الأولياء الذين أثبتوا كرامات وماتوا فى هذا العصر (فى أيامنا هذه أو منذ عشرات السنين مثلا) والذين يتذكر الناس عنهم الكثير . وبعض هؤلاء الاولياء موجودون فى قرية «الجرنوس» القريبة من قريتنا وفى قرية « ميانة » القريبة من مغاغة ومن نهر النيل أيضا . ونمط رابع وهو الأولياء المؤسرون الذين لا يتذكر الناس عنهم سوى القليل ولم يروهم الا فى الأحلام حيث يأتى الولى الى أحد الأفراد ويأمره أن يبنى له قبرا « وليس مقاما » فى مكان ما يريده الولى نفسه . ويوجد فى قريتنا إثنان من هذا النوع . ونمط خامس وهو ذلك النوع من الأولياء المنسوب الى أسرة عريقة فى التدين والولاية والتى يوجد منها

أولياء أحياء أيضا . ومن هذا النوع أسرة توجد فى قرية « القايات » غرب البحر اليوسفى يعتقد كل أبناء المنطقة أنها أسرة « طيبة » الى درجة أن الطفل فيها يعتبر وليا وكثيرا ما ينسبون المعجزات الى الأحياء والأموات على حد سواء . ورغم أن تغيرا كبيرا قد طرأ على الأسرة نفسها الا أن الأسرة مازالت لها كيانها وثقلها وتأثيرها الدينى فى قلوب الناس الى درجة أن الناس يعتقدون صـــلاحية أفراد هـــذه الأسرة وولايتهم مهما كانت الظروف ، ويحرص الكثير على زيارة هؤلاء الناس والتبرك بهم . ونظرا لتمسك هذه الأسرة بالدين ووجود أولياء فيها على قيد الحياة فانه لا يوجد الكثير من الممارسات الشـــاذة المتعلقة بزيارة هؤلاء الأولياء وكثـــيرا ما يقتصر الزائر على الزيارة وقراءة الفاتحة ودفع النذور أو تقبيـــل يد الشيخ الحى .

والأولياء فى المنطقة مازالوا يتمتعون بمكانة عالية فى قلوب الناس الى درجة أن الثورة على هذا الاعتقاد قد تقابل بالنفور الشـــديد بـــل والازدراء فى غير قليل من الأحيان . ويحرص النـــاس على زيارة هؤلاء الأولياء كلهم أو معظمهم مرة على الأقل فى العام خاصـــة الأولياء ذوى الشهرة فى شفاء الأمراض مثل « أبو غنيمة » والشيخ « الغريانى » وذلك فى مواعيد الزيارة والتى غالبا ما تكون يوم الجمعـــة وان كان الشـــيخ أبو غنيمة يزار دائما يوم السبت حيث يقام له حضرة أسبوعية خاصة فى أيام الصيف ، ولا يعرف الناس ما إذا كان مسيحيا أم مسلما ولا يجدون تبريرا لزيارته يوم السبت . والدليل على أن الناس يعتقدون أنه يشفى الأمراض أنهم يطلقون عليه « طبيب الغـــلابة » وتكثـــر زيارته فى أيام الصيف حيث يكون الفراغ كبيرا والمناخ مواتيا . لأن الذى يزوره غالبا ما يصطحب زوجته وأولاده . واذا ما دخلت ضريح الشيخ يوم السبت أو (ليلة الأحد) فانك لا تســـتطيع ان تلف حوله أو حتى تتحرك من عشرات النساء النائمات فى رحابه يطلبن شفاءهن من الأمراض . ويوجد بجواره بحيرة راكدة لا تتجدد مياهها الا كل عدة أشهر يطلق عليها الناس (بحر أبو غنيمة) ويستحم فيها الرجال والنساء والأطفال تبركا الى درجة

أن والد الطفل المريض قد يخصص له وجهه منها لكى يشـ...
وكثيرا ما يغرق الناس فى هذه البحيرة : الأولاد والبنات ا...
ويعتقد الناس أن الغريق قد فعل شيئا أغضب الشيخ عل...

هذه صورة عامة عن المنطقة والأولياء بها ننتقل ...
الأولياء فى قرية بنى واللمس .

ثانيا — الأولياء فى القرية :

بالقرية ثلاثة أولياء ، أحدهم له مقام كبير وتنسج ...
الحكايات ، كما يتعلق به العديد من الممارسات . وهذا ...
« حسن أبو رايتين » الذى يقع مقامه فى وسط القرية تما...
الآخران فأحدهما عبارة عن قبر مبنى بالطوب اللبن يقع
البحر اليوسفى فى منتصف القرية أيضا . وقد بنى هذا ...
القرية حيث رأى الشيخ فى المنام وقال له : ابن لى ...
المكان . وهذا الولى هو الشيخ « محمد الساعى » . و...
الناس عنه أى شىء سوى أن قبره موجود تحت ...
اتخذها الناس كمصلى وهى تقع على حافة البحر اليوسفى ...
من الولى السابق . وقد أتى هذا الولى أيضا الى أحد أبناء ال...
وقال له : ابن فوق قبرى مصلى يصلى فيه الناس . فوضع ...
فى شكل منسق ليصلى عليها الناس . وهذا الولى هو الشيـ...
الأربعين » . هذا ونجد الناس يطلقون على هذه المنطقة الت...
حافة البحر اليوسفى اسم « الأربعين » .

(ا) الشيخ حسن أبو رايتين :

يوجد مقام(١) الشيخ فى وسط القرية تماما وبجوار ...
ومقام الشيخ كبير ومرتفع يبلغ ارتفاعه حوالى ١٥ مترا ...

---

(١) المقام هو الاسم المحلى لضريح الشيخ اى ... الموجـ...
ضريحه .

على خدمة الولى خمسة رجال هم أبناء رجل واحد توفى فورثوا خدمة الضريح عنه • ويتولى هذه المهمة أحدهم فى أى مناسبة حيث لا يكلفهم الشيخ أى جهد سوى اضاءة قبته ليلا فقط التى يقوم بها أحدهم وكذلك تنظيم مولد الشيخ حيث يتعاونون جميعا فى هذا المجال • ويقتسم هؤلاء الأفراد ايراد الشيخ القليل جدا مع أحد أبناء قرية مجاورة يقول انه قريب لهذا الولى ومن نسله • وهذه القرية التى يقطن فيها هذا الرجل هى قرية الجرنوس التى تقع على بعد ٢ كيلو متر شرق قرية « بنى واللمس » التى يقع فيها الولى • وهذه القرية « الجرنوس » بها العديد من الأولياء كما يتفق جميع أهالى المنطقة أنها أقدم قرية فى المنطقة على الاطلاق •

ولقد كان جد هذا الرجل الذى يشارك الجماعة التى تقوم على خدمة الشيخ هو الذى يقوم على خدمته • ولكن حدث أن تطوع جد هذه الجماعة التى تخدم الشيخ الآن من أبناء القرية بتجديد ضريح الشيخ وتنظيمه والتطوع بخدمته حيث لا يستطيع الذى يقطن فى قرية بعيدة أن يباشر هذه المهمة • وتولى عنه هذه المهمة ابنه ثم أحفاده الخمسة وهكذا • على أن يقتسموا ايراد الشيخ مع خادمه (نقيبه)(٢) الأساسى الذى يعيش فى قرية الجرنوس • هذا ويجب الاشارة الى أنه نظرا لضآلة ايراد الشيخ فانه يبدو أن النقيب الأساسى قد تخلى عن نصيبه للقائمين على خدمة ضريح الشيخ من أبناء القرية •

كانت قبة الشيخ فيما مضى صغيرة مبنية بالطوب اللبن • وقد ذكرنا أن أحد أبناء القرية (جد من يخدمون الضريح حاليا) هو الذى بنى القبة الحالية التى ترتفع فوق حجرة كبيرة مربعة يبلغ طول كل جدار بها حوالى ٥ متر • وأرضية الضريح « مبلطة » وقد قام أحد أبناء القرية بتبليطها منذ قريب تبرعا أو وفاء بنذر معين • وقبة الشيخ مطلية بالجير

---

(٢) كلمة النقيب هى الاسم المحلى للذى يقوم بخدمة الشيخ أو يكون من عائلته أو يمت له بصلة قرابة .

ويقوم بتجديد طلائها أى فرد من أبناء القرية على أن يكون هذا الطلاء وفاء بنذر معين أيضاء ويدعى من يقومون بخدمةالضريح حاليا أنهمأقرباء لهذا الولى بالنسب ولم يكن جدهم ليتطوع لهذه الخدمة لولا أنه يعرف قصة هذه القرابة ، حيث تزوج أحد أبناء عائلتهم واحدة من نسل هـذا الولى ٠

(ب) سيرة الولى وكراماته :

لا يذكر أى من أبناء القرية شبابها وشيوخها شيئًا عن حياة سيدى حسن أبو رايتين الا أنه كان محاربا فى صفوف جيش المسلمين التى كانت تحارب ضد « الكفرة » على حد قولهم ٠ وكان يتقدم الجيوش حامـلا الرايات فى يده ومن هنا لقب أبو رايتين ٠

وتتضارب قصة وفاته وتختلط فى أذهان الناس فمن الناس من يقول أنه كان مدفونا بقرية « الجرنوس » المجـاورة ثم انتقل سرا الى هـذا المكان فى القرية ٠ ومنهم من يقـول أنه مات فى قرية الجرنوس ثم طار بالنعش حتى هذه المنطقة التى دفن بها وطلب أن يدفن فيها ٠ ومنهم من يقول أنه دفن فى المكان الذى استشهد فيه فى الحرب ٠ ولكنى لم أكتف بكل هذه الروايات وسألت أحد المسنين فى القرية فذكر لى أن هذه المنطقة التى تمتد من قرية الجرنوس حتى قرية « بنى واللمس » كانت كلها فيما مضى مدافن لقرية الجرنوس القديمة جدا والتى تعتبر قرية بنى واللمس حديثة النشأة اذا ما قورنت بها ٠ والدليل على أن كل هذه المنطقة كانت مدافن هو أنك لو حفرت الارض فى أى مكان من المنطقة المجاورة لوجدت رفاتا وأجسادا لأناس سابقين ٠ ولقد كان الشيخ حسن أبو رايتين مدفونا فى مقـابر قرية الجرنوس التى اندثرت ولم يبق منهـا سـوى ضريح الشيخ الذى قامت حوله القرية ٠ والدليل على هذا التصور الذي يقـول الاخبارى المسن أنه سمعه من والده هو أن القرية اتجهت فى دفن بعض موتاها حول ضريح الشيخ لان المنطقة حوله شجعتهم على هذا لانها كانت مقابر أساسا رغم أنها تقع وسط القرية الحالية ٠ والدليل على هذا الرأى

أيضا أن خادمه الأساسى مازال يقطن قرية الجرنوس ، ويقول الاخبارى المسن هذا أنه لم يسمع من والده وسابقيه الا أن هذا الولى صحابى كان يحارب فى صفوف الجيوش الاسلامية وأنه كان مكلفا بحمل الرايات ومن هنا لقب بأبى رايتين أو أبو الرايات .

ورغم أن الناس لا يذكرون عن حياته الاولى سوى ما قلناه فانهم يكنون له احتراما كبيرا ويهابونه ويلقبونه (بالبطل) أو (التلب) وهو اسم محلى يعنى أيضا البطل . وينسبون اليه الكثير من الكرامات التى أظهرها وهو ميت ومن هذه الكرامات :

١ — عندما نام أحد الأفراد وكان يحرس غلته المجاورة لمقام الشيخ وترك الغلة فى رعاية الشيخ وأتى أحد اللصوص ليملأ جلبابه من غلة هذا الرجل ، تركه الشيخ الى أن ملأها وعندما هم بالوقوف لم يستطيع بل التصق بالارض ولم يأذن له الشيخ بالمشى الا بعد أن استيقظ صاحب الغلة وتشفع له عند الشيخ الذى أطلق سراحه . هذا ويجب أن نذكر أن المنطقة المحيطة بالشيخ والمقابر المجاورة له يتخذ منها الاهالى مكانا لنشر ودرس محصولاتهم .

٢ — عندما أتى أحد الأفراد لسرقة بعض القمح من هذه (المجرنة)(٣) لم يدر الا وسلسلة تربطه بالارض لم يستطع منها أن يحمل سرقته . وعندما ذهب الى أكثر من مكان ليسرق منه فى أجران القرية حدث له نفس الشىء بحيث تسببت هذه الحادثة فى أن يتوب هذا الرجل عن السرقة .

٣ — عندما حاول بعض أهالى القرية أن يعطل مولد الشيخ لانه يقام بجوار أبراج الحمام الخاصة به ذهب له الشيخ فى المنام وكاد أن يخنقه

---

(٣) المجرنة هى الاسم المحلى للمكان الذى توضع فيه الاجران والجرن هو المحصول بعد ان ياتى من الحقل وقبل ان يذهب الى المنزل .

لولا أن تعهد له أنه سيساعد فى اقامة المولد • وفعلا ذهب فى اليوم التالى وساعد على إقامة المولد •

٤ ــ يقول أحد أبناء القرية أنه رأى بالليل وفى أحد الايام داخل الشيخ نورا ساطعا ورأى مئات الأولياء مجتمعين يذكرون اسم الله الأمر الذى يدل على مكانة الشيخ بين الأولياء •

٥ ــ انقاذه لأحد أبناء القرية عندما تعرض لخطر وهو بالحجاز حيث ظهر له فى صورة شخص عادى وأنقذه من الخطر الملم به ثم اختفى فجأة فعرف أنه سيدى حسن أبى رايتين •

٦ ــ يشاهده أهالى القرية فى المنام يركب حصانا ويحمل سيفا ويلبس عمة وثيابا بيضاء ناصعة وهم يستبشرون بهذه الرؤية(٤) •

٧ ــ فى أثناء مولد الشيخ أو فى احدى أيام الجمع لو تجمع عدد من الاطفال والشباب داخل ضريح الشيخ وهللوا قائلين : أوكب يا واكب • ولفوا حول الضريح مصفقين فانه يظهر فى القبة راكبا حصانه ويلف معهم فى أعلى القبة شاهرا سيفه • ويحكى أهل القرية أنهم رأوا هذه الظاهرة بأعينهم وتأكدوا منها(٥) •

٨ ــ انقاذه لناقة كادت توشك أن تغرق فى احدى القنوات ولم يستطع الرجال أن يخرجوها وعندما صاح صاحبها باسم الشيخ أبو رايتين قامت ناقته وخرجت بنفسها من الماء وظن أن الشيخ هو الذى أخرجها •

---

(٤) يجب أن نذكر أنه عندما يرى احد الأفراد جملا فى المنام فان مفسر الاحلام يفسر رؤية الجمل على انه شيخ ، ويدل هذا على ان الجمل يمثل الخير ويحمل قيمة كبيرة . وفى مقابل ذلك يفسر رؤية الثعبان على أنه عدو .

(٥) راى الباحث ظاهرة من هذا النوع ليس مع الشيخ حسن ابو رايتين ولكن فى ضريح ولى يدعى (الدكرورى) يقع فى قرية بهنسا .

الأشخاص عن القرية والدعوة له بالرجوع سالما أو حالة النجاة من الكوارث أو النجاح فى الامتحان حيث ينذر الشخص أو أهله نذرا معينا للشيخ مثل النقود أو الكيروسين الذى يستخدم فى اضاءة ضريح الشيخ على أن توضع النقود فى صندوق النذور بعد أن يرجع الغائب أو يشفى المريض وهكذا • ويقدم الكيروسين الى خادم الضريح ليستخدمه فى اضاءته • ويلجأ الرجال والنساء على السواء الى الولى فى هذه الامور •

٢ — فى حالة الشكوى من المظلمة أو الرغبة فى ايقاع الأذى بأحد الأشخاص الظالمين أو المتهمين بالسرقة وهذه الزيارات تقتصر على النساء حيث لا يذهب الرجال الى الشكوى فى أضرحة الأولياء • وفى هذه المناسبة تذهب السيدة أو الفتاة الى ضريح الولى وتشكو من تريد أن تشكوه بأعلى صوت وذلك يوم الجمعة وتكرر الشكوى عدة مرات تصل أحيانا الى ثلاث جمع • وتذهب السيدة أو الفتاة بخصوص هذه الشكوى فى آذان الجمعة بالضبط لانها تعتقد أن الولى يستمع الى المظالم فى هذه الفترة بالذات ونجد أن النسوة لا يكتفين بالشكوى وانما يقمن كذلك باحدى ثلاث ممارسات شهيرة فى هذه المنطقة :

* اما أن « تكنس » الشاكية الشيخ فى أثناء شكوتها التى دائما ما تقترن بكلمة « خلصنى من فلان يا سيدى حسن أبو رايتين » أو « وريني فيه يا سيدى » أو « خليني أشوف فيه يوم » • ويعنى أن تكنس أرض ضريح الشيخ تقوم بقلب الحصر الموجودة على الأرضية وتعتقد بذلك أنها تقلبها على الشخص المشكو نفسه وأنه بذلك سوف يقع تحت طائلة الولى ومعاقبته •

* واما أن « تشنق نفسها »(٧) أثناء هذه الشكوى حيث تطوق المرأة رقبتها بطرف طرحتها • وتمسك أطرافها بيديها وترفع وجهها الى

---

(٧) هذا هو اللفظ المحلى لهذه الممارسة •

أعلى وتلف حول ضريح الشيخ وتشكو الى الشيخ مظلمتها وتكرر هـذا العمل ثلاث جمع متوالية •

* تقوم المرأة بقلى الحلبة واسمها المحلى (الحياقة) داخل ضريح الشيخ • ويختارون الحلبة لانها أولا : لا يمسها السوس ولا العطن كمـا يقولون، ثم أنها ثانيا : مرة المذاق حيث ينعكس موارها هذا على الشخص المشكو فيه • على أن تشكو أو « تدعى » على حد قولهم عند قلى الحلبة • وهى ممارسة جديرة فعلا بالمزيد من الدراسة •

هذا ويعتقد الناس أن الشيخ فى حالة أى ممارسة من هذه الممارسات الثلاث سوف « يبين » فى المشكو فيه اذا كان ظالما ولكنه اذا كان مظلوما فان هذه الشكوى تنقلب على الشاكى نفسه وتؤذيه • ولذلك نجد أن بعض الريفيان يحذرون زوجاتهم من القيام بهذه الممارسات ولا يلتجأ اليها الا فى حالات الغيظ الشديد(٨) •

٣ ــ يلجأ الناس الى زيارة الولى فى أثنـاء المرض الشـديد الذى يصعب علاجه عن طريق الأطباء حيث ينذر أهل المريض الى الولى نذرا معينا يوفون به اذا ما شفى المريض •

٤ ــ كما تذهب اليه السيدة التى لا تلد والتى تسـمى « العاقر » حيث تتضرع اليه أن يتوسط لها عند الله فى أن يعطيها ولـدا أو يجعلها قادرة على الانجاب وغالبا ما تنذر اليه نذرا •

٥ ــ أما الاطفال فان الأم تذهب بطفلها اذا كان مريضا لكى يشفيه الشيخ، هذا اذا لم يفلح معه الطب • ولكن هناك ممارسة غريبة حقا خاصة بالطفل الذى يعتقد أنه « مبدول » • فنساء القرية يعتقدن أن الطفل لو

(٨) تجدر الاشارة الى أن الشكوى للشيخ ترتبط بالمستويات الطبقية ، فالذين يكثرون الشكوى للشيخ من اقل المستويات الطبقية . والامر يحتاج الى مزيد من المتابعة ، فليس معروفا هل الفقير دائم الشكوى الى الاولياء ، أم ان الفقير هو اكثر الناس تعرضا للمظالم •

تترك فى مكان ما من المنزل وحده ويكون المكان خاليا من أى شىء ذى قيمة كالمأكولات مثلا فان الملائكة أو الجان — لا يعرفون بالضبط — يأخذون الطفل الذى يكون بصحة جيدة ويضعون مكانه طفلا هزيل الجسم وضعيف الصحة الى درجة تدفع الأم الى أن تلجأ الى الولى أو الى السخرة لكى يرجعوا لها ابنها أو يأخذوا هذا الطفل الذى هو معها الى غير رجعة . وعندما تلجأ الأم الى الولى (الشيخ حسن أبو رايتين) تذهب ومعها الطفل فى أذان ظهر يوم الجمعة وتضع الطفل « المبدول » على مفتاح باب الضريح المصنوع من الخشب والذى يطلق عليه اسم « الضبة » وتقول هذه العبارة : « يا ضبه ضببيه وان ما ضببتهش خديه » وتكرر هذه الممارسة ثلاث جمع وفى نهاية هذه الثلاث جمع اما أن يشفى الطفل واما أن يموت . ولا شك أن هذه الممارسة تتوارث خلال خط الاناث بحيث تنصح المرأة كبيرة السن مثلا ابنتها بأن تذهب بطفلها الى الشيخ لانه مبدول ، الامر الذى يجعلنا نتنبأ بأن هذه الظاهرة شأنها شأن كافة الممارسات الخاصة بالاعتقاد فى الاولياء لن تتغير فى المدى القريب، والتعليم فقط هو الذى ربما سيكون العامل الرئيسى فى القضاء عليها ، ولا أقصد بالتعليم تعليم الرجل فلا يوجد منزل بالقرية الا وبه أحد المتعلمين من الرجال ولكنى أقصد التعليم فى خط الاناث الذى تنتشر فيه مثل هذه المعتقدات بصورة كبيرة[٩] وفى بعض الحالات الشاذة من هذه الممارسة تذهب المرأة بطفلها فى أثناء صلاة الجمعة وتضعه فى قبر مهجور عاقدة النية على أن يأخذه الملائكة ويأتوا لها بطفلها الأساسى وتكرر هذا ثلاث جمع يشفى فى نهايتها الطفل أو يموت واذا شفى تظن أن الملائكة قد استبدلوه فعلا .

ويستطيع أهل القرية أن يحكوا لأى باحث عشرات الحكايات فى تطبيق كل هذه الممارسات وفى تصرف وانتقام الولى من الظالم اذا شكاه

---

(٩) من الأمور التى تحتاج الى دراسة ما اذا كان التعليم يسهم حقا فى تغيير المعتقدات : فمن الأمور التى يلاحظها اى فرد يفكر بالاسلوب العلمى أن الكثير من المتعلمين لا يغيرون من تفكيرهم المرتبط بالمعتقدات الشعبية كالسحر وخلافه .

المظلوم له وكان على حق ومن الشاكى نفسه اذا كان على غير حق ٠ هذا ويجب التنويه الى أنه حدث ذات مرة أن كتب أحد الأفراد شكوى على ورقة صغيرة ووضعها داخل ضريح الشيخ لكى ينتقم له من لص ظن أنه يسرق حمام برجه ويبدو أن هذا الشخص قام بكتابة الورقة لانه ليس من عادة الرجال الشكوى الى الأولياء خاصة فى أمور المظالم ٠

وزيارة الولى تكون دائما يوم الجمعة أو فى أيام المولد حيث يكون باب المقام مفتوحا ليلا ونهارا ومن النذور التى تنذر للولى :

١ ــ النقود وهى نذور قليلة وتكثر فى أيام المولد وتذهب كلها الى خدام الولى ليقتسموها مع شريكهم فى قرية الجرنوس ٠

٢ ــ الكيروسين ويذهب الى خادم الولى لكى يستخدمه فى الاضاءة٠

٣ ــ الأرز المطبوخ باللبن ، ويرتبط هذا النذر بشفاء الحيوانات المريضة حيث تنذر المرأة (قصعة) أرز بلبن تذهب بها الى جوار مقام الشيخ أمام بابه يوم الجمعة ويأكلها الاطفال الحاضرون أو الاطفال المارة ٠ وتأخذ هذه الظاهرة فى الاختفاء فى هذه الايام ٠

٤ ــ الذبائح التى تقدم الى خدام الضريح ٠ وقد يكون النذر ذبيحة كاملة أو نصف ذبيحة أو ربع ذبيحة ٠

(د) مولد الشيخ حسن أبو رايتين :

كانت موالد الأولياء تلعب دورا كبيرا فى حياة الناس فيما مضى حيث كان الناس يحسبون لها حسابا طيلة العام لكى يحضروها ، خاصة الموالد فى القرى المجاورة ٠ وكان كل رب أسرة يأخذ أسرته ليقيم حيث يكون المولد لعدة أيام وبعض الأسر كانت تقيم أيام المولد كله ٠ وربما كان للفراغ الاقتصادى أثر كبير على هذا حيث بدأت هذه الظاهرة فى الاختفاء بعد الاهتمام الكبير للناس بالنقود وشئون التجارة والزراعة ٠ ويقتصرون الآن على قضاء ليلة واحدة والكثيرون لا يفكرون فى الذهاب على الاطلاق٠

ومولد سيدى حسن أبو رايتين يبدأ فى غرة ربيع الاول أى فى بداية الاحتفال بمولد النبوى • حيث يأخذ الناس فى نصب أكشاك لبيع الحلوى والفول والشاى ولعب القمار ويسمى الكشك (الفرش) ويتكون من دكتين أو ثلاثة ومنضدة لوضع البضاعة عليها ثم سقف من الجريد أو بوص الذرة محمولا على ٤ قوائم خشبية • ويكون عدد هذه (الفروشات)(١٠) حوالى ١٠ فى المتوسط • ويستمر المولد حتى ليلة ١٢ ربيع حيث يحتفل بالليلة الكبيرة • ويبدو كل فرش خاليا من الناس فى الصباح والظهيرة ولكن من بعد العصر الى منتصف الليل نجدها مزدحمة بالناس : هذا يأكل الفول والحلوى ، وهذا يلعب (الكوتشينة) وهذا يحضر بعضا من السودانى والحلوى ليذهب بها الى المنزل أو ليقدمها الى أقربائه من النساء والفتيات اللائى يجلسن فى مكان متطرف من أرض المولد •

ويستضيف الشباب بعضهم ليأكلوا الحلوى والفول• وقد يؤثر نسق القرابة فى السلوك داخل المولد حيث نجد أن الشباب من عائلة ما يجلسون فى (فرش) أحد أقربائهم وان كانت هذه ليست قاعدة • وتنصب المراجيح للأطفال وكذلك يأتى بعض محترفى لعب الملاهى • ويتبارى الشباب فى ضرب (المدفع) الذى يتكون من كتلة حديدية تسير على قضيبين يدفعها الشاب بذراعه لتصل الى نهاية الطريق المخصص لها معلنة ذلك عن طريق (بومبة) فى نهايتها تصدم بقطعة حديد فتحدث صوتا • ويمكن تثقيل قطعة الحديد هذه أو تخفيفها تبعا لقدرة الشاب •

أما خدام الضريح فانهم يهيئون ضريح الشيخ بكنسه وتبييضه ويضعون أمامه راية كبيرة يحملها عامود كبير وغليظ من الخشب بحيث ينبىء (دق العامود)(١١) أمام ضريح الشيخ عن بداية المولد •

بعد ذلك يستدعى خدام الضريح جماعة من ضاربى الطبول من قرية الجرنوس وهم يقومون على خدمة شيخ هناك أيضا يدعى الشيخ

---

(١٠) جمع فرش باللغة المحلية •
(١١) هذه هى الكلمة المحلية للاعلان عن بداية المولد •

(أبو شوك) • ويأتى من هؤلاء ثلاثة أو أربعة يدقون الطبول ويحملون (بيرق) الشيخ أبو شوك وينضم اليهم محترف دق طبلة من البلدة وكذلك (بيرق) الشيخ أبو رايتين الذى يعتبر أخف من بيرق أبو شوك ويشتركون جميعا فى احياء أيام المولد • وفى الصباح تخرج قافلة الطبل هـذه ومعها البيرقان يحملهما اثنان من خدام الشيخ أو أولادهم ليلفوا القرية جميعها منزلا منزلا ويتوقفون أمام كل منزل ليقرأ أحدهم الفاتحة بصـوت عال ويخرج لهم أهل المنزل « العادة » (عادة الشيخ) وهى عبارة عن نقود أو بعض الحبوب كل حسب مقدرته • على أنهم لا ينهون القرية فى يوم واحد ولكنهم يقسمونها على الاثنتى عشر يوما التى هى أيام المولد •

وتنتهى هذه الجولة فى العصر تقريبا ودائما ما ينهون جولتهم عنـد الشيخ حيث ينصب الناس للمولد وقـد يبدأوها منه • ولذلك سـبب ، فالشباب يتبارى أيضا فى « لف أو تدوير البيرق » على دقات الطبول وفى الاستعراض به ويسمى هذا (تدوير البيرق) وتقف النسـاء من بعيـد ترقبن أولادهن وتشجعهم بالزغاريد • ولا يمارس الشباب عمليـة لف البيرق تبركا فقط وانما فخرا واظهارا للقوة أيضا •• هذا ويدفع كل من يلف البيرق قرشا أو أكثر يضم الى الحصيلة العامة من ايراد المولد •

ويطلق أهل القرية على هذا الموكب الذى يحيى المولد يوميا ويلف كل القرية بالطبول والبيارق اسم (الزاوية) • هذا وكثيرا ما ينذر الناس وجبة لهذه الزاوية يقدمها لهم فى الغذاء أو العشاء أيام المولد الى درجة أن هـذه الجمـاعة (الزاوية) لا يسـتطيعون الذهاب الى كل دعـوة للعشاء أو الغذاء ، وكثيرا ما يذهبون لتلبية الدعوة دون أكل وذلك لكثرة للدعوات •

وفى مساء كل ليلة يقام أمام الشيخ ذكر تقوده الطريقة الصـوفية الوحيدة المنتشرة فى القرية وهى الطريقة البيومية والتى لم تنتشر الا منذ سنتين • وقبل ذلك كان الذى ينظم الذكر هم نقباء الشيخ أبو شوك ولديهم

خبرة فى هذا وقد يكون هذا هو السبب فى دعوتهم لاحياء ليالى المولد ، وقد يكون السبب أيضا أن لقريتهم نصيبا من ايراد الشيخ . وفى نهاية المولد يقسم هذا الايراد مثالثة بين خدام الشيخ فى القرية ونقيب الشيخ الاساسى فى قرية الجرنوس ونقباء أبو شوك الذين يحيون المولد .

ولكن ماذا عن الليلة الكبيرة . هذه الليلة هى ختام المولد وهى ليلة مولد النبى عليه السلام . ويعطل الناس أعمالهم لمشاهدة هذه الليلة . ويبدأ الاحتفال بها بعد الظهر حيث يركب مأذون القرية أو أحد رجال الطرق الصوفية جملا ويرتدى زيا أبيضا ويوضع فوق الجمل الذى يركبه بطانية جديدة . ويطلق عليه اسم الخليفة (خليفة رسول الله طبعا) ويركب الاطفال والشباب الحمير والجمال ويتفننون فى تزيينها ويسير هذا الموكب يتقدمه الخليفة وعلى يمينه ويساره البيارق وأمامه الطبل وخلفه الاطفال والشباب يركبون الحمير والجمال المزينة ويلفون القرية كلها . وفى النهاية تنصب حلقات (تدوير البيرق) وتستمر الى المساء . وبعد المساء ينصب الذكر وغالبا ما يحضر ميكروفون لاحياء الليلة . وفى نهاية الذكر يقوم أحد المشايخ بتلاوة الابتهالات الدينية وفى نهايتها يأخذ نقودا من الناس « ليحفظهم » قائلا : فلان الفلانى وترد عليه بطانته : يا ربنا فاحفظه أو يا ربنا فارحمه حسب الحالة ويستمر حتى الفجر . ويحرص كل شخص وكل بيت أن يحفظ نفسه عند هذه البطانة أو يرحم موتاه . وتجلس النساء خلف الذكر وتتلقى الهدايا من الفول السودانى والحلاوة التى يأتى لهم بها الرجال الذين ينتشرون هنا وهناك . وتعم حالة رواج عند البائعين حيث يحرص كل فرد على شراء فول وحلاوة لمنزله فى هذه الليلة التى تستمر حتى الصباح الذى يكون فيه كل شىء قد انتهى وتعود الايام الى سيرتها الاولى .

ولاشك أن هذا وصفا مثاليا للمولد . فقد يحدث أن تكون القرية حزينة لموت أحد وجهائها أو شبابها أو موت عدد كبير من الرجال بها فى هذا العام مثلا ، فلا يقام المولد اطلاقا ، أو يقام ولكن على مستوى أضيق من الوصف السابق . المهم أن المولد يتأثر بالحالة العامة للقرية الاقتصادية والاجتماعية .

الشيخ محمد الســاعى :

يقع قبره على شاطىء البحر اليوسفى فى منتصف المسافة من بداية القرية حتى نهايتها تقريبا • وهو قبر من الطوب اللبن يبلغ ارتفاعه حوالى ثلاثة أرباع متر وطوله حوالى متر وعرضه حوالى ثلاثة أرباع متر أيضا • وقد بناه أحد أبناء القرية من الجيل السابق حيث أتى له فى المنام وقال له: « أنا سيدك محمد الساعى ابنى له علامة فى هذا المكان » • وقام الرجل فى الصباح ببناء هذا القبر ، ومنذ أن أقيم القبر والحكايات تسرد حوله ويكثر عدد من يرونه فى المنام • ويظن بعض قليل من الناس أنه الذى اخترع الساعات • ويظن الناس أيضا أنه متخصص فى حمل الرسائل • وقد لعب دورا كبيرا فى معتقدات الناس أثناء الحرب حيث تلجأ اليه المرأة وتتضرع اليه أن يحمل لها خطابا من عند ابنها على جبهة القتال •

والنذر الوحيد الذى يقدم له هو اضاءته عددا من الليالى حسب النذر المذكور • ولا يوجد له خادم يخدم ضريحه ولكن يعتنى به كل الناس على أى حال •

الشيخ محمد الاربعين :

بجوار الشيخ الساعى أو بالقرب منه على حافة البحر • وقد أتى الى أحد الأفراد أيضا فى المنام وقال له : لابد أن تبنى فوقى مصلية يصلى فيها الناس • وهو الآن عبارة عن مجموعة من الاحجار مستوية السطح يصلى فوقها الناس ويعرفون أن تحتها شيخا وليا • ولكنهم لا يزورونه ولا يقدمون له النذور المهم أنهم يذكرون أنه يوجد فى هذا المكان ولى ويعتقدون أن هذا الولى والولى السابق يوجدان فى بلاد كثيرة وليس من المهم أن توجد أجسادهم بل أنهم قد مروا بهذا المكان وغيره من الاماكن أو أشيروا فيه على أن يبنى لهم مقبرة •

التقرير الثانى

اسم الولى : الحاجة آمنة أم يوسف الأحمدية •
اسم القرية : ههيا •
اسم المدينة والمحافظة : ههيا — شرقية •
اسم الاخبارى : الشيخ ع • ع • ٦٤ سنة •
تاريخ الزيارة : ٣٠ ديسمبر ١٩٦٤ •
علاقة الاخبارى بالولى : من أقارب السيدة ، وخادم الضريح •

حكاية الولى :

أصل عائلة السيدة من مدينة الطائف بالحجاز(١) ، نزحت الى ههيا مع جد العائلة عرف وخادم خاص بها ، كون هو الآخر أسرة خاصة به مازال أحفادها موجودين فى ههيا حتى الآن • استقرت عائلة السيدة فى مدينة ههيا بعد عودتها من الحجاز وعاشت حياة عادية تماما ، وكانت السيدة تحتل قبل موتها مركزا عاديا بين ذويها ؛ ولم تكن قد ظهرت عليها امارات الولاية بعد(٢) •

وتعودت السيدة أن تذهب كل عام لزيارة مولد السيد البدوى(٣) فى طنطا : فى رفقة مجموعة من أقاربها وبعض أهل المدينة • وفى طريق العودة من رحلة طنطا كان سكان القرى الواقعة على الطريق ينتظرونها

---

(١) تتصف هذه المجموعة من الأولياء التقليديين بأنها تدعى لنفسها دائما انها من أصل حجازى ، تيمنا وبركة وامعانا فى الطهر والولاية ، وربما مقدمة لادعاء نسب شريف .

(٢) قرر الاخبارى هذا فى بداية الحديث ، برغم أنه تكلم من كرامات لها أثناء حياتها ، وأنها كانت ذات مركز مرموق من هذه الناحية ، والرأى عندنا أنه أضاف مثل هذا التقرير ليضفى على حديثه بريقا ، ويعطيه شيئا من الاثارة، فهى قد عاشت حياة عادية ، ولكنها أتت بعدد من الكرامات بعد موتها !

(٣) تعتبر زيارة السيد البدوى فى طنطا مماثلة للحج فى فهم معظم فلاحى الوجه البحرى (قارن Kriss; & R. Hartmann فى هذا الموضوع ، انظر قائمة المراجع الافرنجية فى نهاية الكتاب) فأداؤها واجب على الأولياء كل عام، وهذا من ناحية أخرى يوضح أن السيدة عاشت بعد وفاة السيد البدوى .

ويستضيفونها لديهم ، ويكرمونها ومن معها ، ويطلبون منها البركة ، ويستمر هذا التكريم على طول الطريق من طنطا الى ههيا • وهكذا عاشت السيدة حياتها : زهد وتعبد وورع ولم تتزوج على الاطلاق •

وحانت النهاية ، بعد أن انتهت السيدة من قضاء مولد البدوى وغادرت طنطا فى طريقها الى ههيا طلبت من مرافقيها الدخول الى مصلى لم تكن تعودت أن تتوقف فيه فى المرات السابقة(٤) • ويقع هذا المصلى فى قرية « ميت حبيش » وعلى غير عادتها أيضا طلبت أن يتناول الجميع طعام الغذاء فى هذه القرية • وتناول الجميع الطعام ، ثم نصحتهم بالصلاة ، وبعد الصلاة تنبأت بموتها ، وهنا استولى الفزع على أقاربها • وسار ركبها بعد ذلك فى طريقه الى ههيا ، وفى الطريق فارقت الحياة وهى على ظهر حمارها ، وكانت قبل موتها قد أمرتهم ألا يدعوا أحدا من أهل القرى التى سيمرون بها ، والتى تعودت أن تنزل بها ، أن يقترب منها حتى لا يكتشفوا موتها « فيأخذوننى منكم ويدفنونى عندهم » ونفذ أهلها وصيتها ، وتم نقلها ميتة من « ميت حبيش » الى ههيا حيث دفنت فى هذا الضريح القائم • ويعتبر نقلها على هذه الصورة أبرز وأشهر المعجزات التى تنسب لها الآن •

أما الضريح المدفونة فيه الآن ، فقد كانت قد بنت مكانه لنفسها(٥) ضريحا بالطوب النى لتدفن فيه بعد موتها ، ولم يكن الضريح قريبا هكذا من القرية ، وانما كان بعيدا عنها بمسافة تزيد على الكيلو متر ، ولكن

---

(٤) يلاحظ من هذا أنه كان لها أماكن محددة تتوقف بها فى كل مرة ، ربما حيث يوجد لها اتباع أو رواد محددون •

(٥) يهتم العاديون من المصريون ، ناهيك عن الأثرياء بتوفير القبر قبل الموت بمدة كافية ، عندما يشعرون بدنو النهاية ، ويتصل بهذا اعداد الكفن ، والوصايا المختلفة • انظر رسالة علياء شكرى ، الثبات والتغير فى عادات الموت من العصر المملوكي حتى العصر الحاضر ، بون ، ١٩٦٨ • اقرأ عرضا وافيا لمحتوياتها عند علياء شكرى ، التراث الشعبى المصرى فى المكتبة الاوربية، دار الكتاب للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

المدينة توسعت وامتدت حتى جاورت حدودها الضريح تماما • والضريح مبنى فى أرض حكومية ، وليست أرضـه ملكا للسـيدة ، ولم تكن تمتلك الا عشرة أفدنة ، وهبتها لأحد الناس — على حد تعبير الأخبارى •

أسطورة الوفاة :

كما أشرت من قبل يعتبر حضور السيدة الى ههيا ميتة على حمارها أشهر المعجزات التى تنسب لها وأبرزها ، وبداية الاسطورة الوفاة التى تلعب دورا كبيرا فى أسطورة كل ولى تقريبا • كانت السيدة قبل موتها قد تنبأت بظروف موتها(٦) ، فقالت بأن الدنيا ستمطر(٧) فى اليـوم التالى لوفاتها ، فأوصتهم بوضعها فى الكفن الذى سبق أن أعدته ، ولف الكفن فى حصير من فرش جامع القرية الكبير « الجامع الكبير »(٨) • وبله بماء المطر ووضعه عليها مبللا • ونفذت وصية السيدة ، وصلى عليها فى الجامع الكبير ونقلت فى نفس اليوم الى الضريح الذى سبقت الاشـارة اليه • وفى طريق عودتهم ، حاول ابن أخيها — جد الأخبارى — أن يعبر قنطرة على مجرى مائى — يفصل بين مكان الضريح والجزء الآخر من القرية — مع بقية المشيعين عائدا الى منزله ، فتعـذر عليه ذلك ، اذ أحس بشىء قوى يجذبه من الخلف ، ويمنعه من الحركة ، واستخدم كافة الوسائل(٩) ليتخلص من هذا الموقف ويستطيع الحركة ولكنه فشل •• وأقنعه الناس أنه يجب أن يبقى هنا لان السدة أرادت أن يبقى بجوارها ليرعى الضريح

---

(٦) التنبؤ بالمستقبل من أهم الكرامات التى تنسب للأولياء .

(٧) للمطر يوم الوفاة ، أو أثناء الجنازة ، دلالة عقائدية خاصة ، انظر : علياء شكرى ، الثبات والتغير فى عادات الموت ... ، مرجع سابق .

(٨) فى كل قرية من قرى مصر تقريبا جامع رئيسى ، يسـمى « الجامع الكبير » يكون عادة أكبرها حجما ، وكان هو المسجد الذى تؤدى فيه صـلاة الجمعة .

(٩) من هذه الوسائل الاسـتغاثة بالولى الاقرب أو الاكبـر ، ثم بكبار الاولياء الآخرين ، ثم الدعاء بكل صوره ، وقد يصـل الى عمل حلقـة ذكر حوله ..

ويحرسها ، وهكذا أقام هذا الشخص وبنى له مسكنا بجـوار الضريح ، وبقيت سلالته — التى ينتمى اليها الاخبارى — تعمل على رعاية المقام •

هذا وكانت السيدة قد وعدت خادمها قبل موتها بأنه سـينال ثلاثة قروش[١٠] من مولدها الذى سيقام لها كل عام ، وهكذا تنبأت بقدسيتها وذيوع صيتها ، وبمولدها الكبير •

كرامات السيدة :

١ — أشهر هذه الكرامات حضـورها على حمارها وهى ميتـة من « ميت حبيش » الى ههيا •

٢ — التنبؤ بقدسيتها ، ووجود دخل من مولدها •

٣ — حمل ابن أخيها على البقـاء بجوارها وربطـه عند عبـور القنطرة •

٤ — كان من عشاق (!) « مريدى » السيدة أحد الأشخاص الذى كان يعمل صرافا بالقرية ، وبسبب حبه لها أهمل فى عمله ، فعاقبه سيده المفتش التركى بأن ربط فى عنقه حجرا كبيرا وقذف به فى البحر « نهـر النيل » ، واستغاث الصراف بالسيدة ، فأخرجته سـليما من المـاء ••• وجاء التركى يحاول جمع المال فلم يفلح[١١] ، وندم التركى على فعلته ، وعلم عندئذ بنجاة الصراف « خليل أفندى » ، فأعاده الى عمـله ، وزار السيدة وشكرها ، وتاب على يديها ، وطلب منها أن تطلب منه أى شىء يوقفه عليها •

---

(١٠) الرقم رمزى فقط ، ويشير الى وجود دخل من هذا الطريق •
(١١) كان السـادة الاتراك العثمانيون يستخدمون عمالا مصريين ، لانهم أكثر قدرة على التعامل مع الفلاحين •

ملاحظات عن الاخبارى :

الاخبارى لم ير السيدة فى منامه على الاطلاق ، وليس فى ذهنه صورة معينة عن مظهرها أو شكلها . يبدو من سياق الحديث الطويل الذى أجريناه معه أنه قليل الاعتقاد فى قدسيتها وولايتها ، فهو « لم ير منها شيئا » أى لم يشاهد أو يحيا معجزة من معجزاتها ، وانما « نحن نسمع » فقط . وبرغم ذلك فانه يحرص على ألا يقول فيها الا خيرا لانه هو القائم على استغلال الضريح من الناحية المالية .

الاخبارى توفى فى خلال شهر يناير ١٩٦٥ ، بعد مرور أقل من شهر على الزيارة ، وكان يبدو شديد الضعف شاحب اللون .

مولد الحاجة آمنة أم يوسف الأحمدية (*)

الاخبارى :

الاخبارى من أعيان مدينة ههيا وضواحيها ، عاش حياة خصبة عريضة ، اشتغل بالتجارة وأعمال السمسرة ، وقام بجولات واسعة فى شتى نواحى مصر متصلة بعمله التجارى وبنشاطه الترويحى الذى اتخذ صورا ماجنة فى فترات الشباب والكهولة .. له علاقات شخصية واسعة بسبب ظروف عمله وانتقالاته . وقد اكتسب الاخبارى ثروة عريضة من تجارة القطن والمزارعة ، فكان يعد من وجهاء المنطقة . وقد مكنت له هذه الامكانيات المالية الاضطلاع بعبء تنظيم مولد السيدة . ومما يذكر أن الاخبارى كان فى تلك الفترة وقبلها وبعدها — لمدة ٤٠ عاما تقريبا — يعمل على تنظيم السوق الاسبوعى العام للبلدة ، وهو باختصار يسمى نفسه صاحب المولد .

(*) الاخبارى الشيخ ح . ع . ٩٤ سنة — الخليفة .

المولد :

قبل أن يأخذ الاخبارى الشيخ / ح • ع • على عاتقه — منذ نحو خمسين عاما — عبء اقامة المولد والترويج له وتنظيمه ، كان المولد عبارة عن سوق صغير « سويقة » ليست لها أهمية كبيرة •• وكانت هذه « السويقة » تقام من قبل فى شهر مايو ، حيث تكون فترة رواج اقتصادى ، ويكون لدى أهل القرية من الامكانيات المالية ما يمكنهم من الانفاق فى المولد والاستمتاع بما يقدمه من وسائل لهو وترفيه ، وحيث يتيسر كذلك للقائمين على تنظيم المولد من الامكانيات ما يمكنهم من الوفاء بالالتزامات التى يستوجبها تنظيم المولد •

ومنذ نحو خمسين عاما ، بدأ الشيخ / ح • ع • فى تنظيم المولد بامكانياته الخاصة ، والتزم بنفس الموعد الذى تقام فيه « السويقة » فى الماضى ، فتلك الفترة ، وهى فترة الحصاد ، هى فترة الرواج عند الفلاحين ، وهى التى يقام فيها — لهذا — غالبية الموالد فى مصر • ومن الجدير بالذكر أن الاخبارى يتخذ من عملية تنظيم المولد سنويا سندا لوجاهته فى المدينة وبين أعيانها •• وفى غضون الفترة التى كنا نزور فيها المدينة كان الاخبارى قد أعد مذكرة للجهات المسئولة (مشيخة الطرق الصوفية بالقاهرة) يدعى فيها أن السيدة آمنة الأحمدية خالته ، وأنه يرعى مولدها منذ خمسين عاما ويرجو اقراره خليفة لها ، ووقع على هذا الطلب مقرين بما فيه عدد كبير جدا من أعيان المدينة •

ويبدأ الاعداد للمولد بطلب تصريح من الادارة المختصة بوزارة الداخلية باقامة المولد ، ثم يعلن عن ذلك رسميا فى الصحف اليومية وبوسائل الدعاية المختلفة فى المنطقة : فى المساجد والاسواق والمقاهى •• الخ • ويتحتم عليه فى هذه الأثناء أن يحصل على تصريح من وزارة الصحة — خوفا من وجود وباء فى المنطقة فيكون المولد عاملا من عوامل انتشاره — ثم وزارة الزراعة ، لكى لا يتعارض موعد اقامة المولد مع احتياجات الزراعة الأساسية ، كوجود مياه أو آفة معينة فى الارض

تحتاج الى الأيدى العاملة لمقاومتها ... الخ . بعد ذلك تبدأ الفرق الفنية المختلفة فى الحضور الى المدينة ، ويحدد الشيخ الاخبارى لكل فرقة أو فنان قطعة من الارض فى المساحة التى تحدد اقامة المولد عليها . ولا يقام المولد عادة على قطعة أرض محددة ، ولكنها تختلف من عام لآخر تبعا لظروف البناء ، وحجم الفرق المشتركة ، والاقبال .. ومختلف الظروف بحيث تختار مساحة واسعة من الارض المتاحة مجاورة ما أمكن لمقام السيدة . ومفروض أن الاخبارى يحصل من هذه الفرق على مقابل (حق امتياز) منحها حق العمل ، ويكون هذا الدخل الجزء الأكبر من مصروفاته على المولد ، وهو يدعى أن مصروفات المولد أكثر من وارداته .

أما المصدر الهام الأساسى للواردات فهو صندوق النذور الموجود داخل ضريح السيدة ، وهو يصل — طبقا لبيانات الدليل — نحو ١٥٠ مائة وخمسين جنيها كل عام ، يستولى عليها الشيخ / ع . ع . خادم الضريح وأخوته ، وقد سبق أن أشرنا الى أنهم يدعون قرابة للسيدة الولية .

ومما تجدر الاشارة اليه أن الاخبارى الشيخ / ج . ع . سوف يستولى بعد تعيينه خليفة — وخاصة بعد وفاة الشيخ / ع . ع . على صندوق النذور الخاص بالسيدة .

التقرير الثالث

اسم الولى : الشيخ / يوسف بن عنان « العنانى » •

اسم القرية : ههيـــا •

اسم المدينة والمحافظة : ههيا ـــ شرقية •

اسم الاخبارى (١) : الشيخ / ع • ا / ٨٥ سنة • مزارع سابقا •

اسم الاخبارى (٢) : السـيد / ك • ع • ا / ٥٥ سـنة • ناظر مدرسة ابتدائية •

تاريخ الزيارة : ٣١ ديسمبر ١٩٦٤ •

علاقة الاخبارى (١) بالولى : يقوم على رعاية المقام ماديا وروحيا

علاقة الاخبارى (٢) بالولى : نجل الاخبارى (١) •

هذا الولى نموذج على جانب كبير من الأهمية ، تلتقى حوله مجموعة كبيرة من الأساطير والمعتقـدات والممارسـات ذات الدلالة الفولكلورية الهامة ، والتى يحتاج تفسير كل عنصر منها على حدة الى دراسة مستقلة •

حكاية الشيخ :

الشيخ يوسف بن عنان هو اسم الشهرة لهذا الشيخ ، فقد اتضح من قراءة وثيقة الاخبارى رقم (١) ان أسمه : يوسـف الرشـيدى ، وليس بن عنان •

ورد الشيخ يوسف الى مصر مع الفتح الاسـلامى[1] ، كان قائدا لأحد جيـوش الفتح ، ويقول عنه الاخبـارى رقم (١) انه من تابعى

---

(١) هذه الفئة من الأولياء معروفة فى الغالبية العظمى من قرى مصر ، ونسبة الولى الى جيوش الفتح الاسلامى تقارب ـــ فى هدفها ـــ نسبة اسرة الولى الى بلاد الحجاز ، انظر قصة الحاجة آمنة ام يوسف الاحمدية ص ١٣٢ •

للتابعين ، أى من الجيل التالى على الصحابة • ومما هو معروف أن الجيوش التى حضرت لغزو مصر من قبل عمر بن الخطاب كانت من فئة الصحابة وليست من تابعى التابعين • ومن اللافت للنظر أن أسرة الشيخ كلها تشتهر بالولاية والبركة : فوالد الشيخ يوسف هذا ولى له مقام فى قرية مجاورة هى « ميت أبو خالد » من أعمال محافظة الشرقية •• والشيخ يوسف نفسه — على حد معلومات الاخبارى رقم (١) — هو الجد السابع للعنانية « أولاد عنان » فى مصر(٢) ، والأمر الذى يجب ملاحظته أن كل أضرحة هذه العائلة من الأولياء تقوم بجوار نهر النيل سواء فى ههيا ، أو « ميت أبو خالد » أو فى القاهرة •

أما عن أصل الشيخ ونسبه فيقول الاخبارى رقم (١) أنه يمتلك وثيقة بتسلسل نسب الشيخ يوسف حتى عمر بن الخطاب ، وأن هذه الوثيقة هى حجة الخلافة على المقام ، وكانت من قبيل فى حوزة والد الاخبارى رقم (١) الذى كان بدوره خليفة للمقام ثم انتقلت الى حوزة الاخبارى رقم (١) • وقد تسلمت الأسرة هذه الوثيقة من « شيخ السجادة » أو « شيخ مشايخ الطرق الصوفية » بالقاهرة ، ولازالت فى حوزة الأسرة حتى الآن • وقد اطلعت عليها ، ومنها علمت الاسم الحقيقى للشيخ •

وفى مقابل هذه المعلومات التى أدلى بها الاخباري رقم (١)(٣) عن تاريخ الشيخ ، علمت من الاخبارى رقم (٢)(٤) فى مقابلة سابقة معه أن الشيخ غير معروف الموطن ، ولا يعرف تاريخ مولده ، ولا تاريخ وصوله

---

(٢) يقع ضريحهم بميدان رمسيس بالقاهرة ، ولهم اضرحة فى قرى مصرية متعددة .

(٣) الاخبارى رقم (١) شيخ عجوز فى الخامسة والثمانين كان يعمل مزارعا ، ولازال للان يعتبر نفسه خليفة الشيخ يوسف .

(٤) الاخباري رقم (٢) أصغر سنا ، يعمل ناظرا لمدرسة ابتدائية بالقرية ، يرتدي البدلة الافرنجية ، على صلة معقولة بالمدنية الحديثة، وعلاوة على هذا فقد أدلي بهذه البيانات فى غياب والده .

الى هميا • (يراعى القارىء بدقة تراجع الاعتقاد فى ولاية الولى من جيل الى جيل • وهى ظاهرة عامة لاحظناها لدى دراسة كثير من الاولياء) •

الضريح وبناؤه :

بناء الضريح متواضع من النوع البسيط المتوسط الحجم والمساحة • يقول الاخبارى رقم (١) ان الضريح كان فى بداية عهده مبنيا على حافة النيل مباشرة ، ثم شق طريق رئيسى بجوار النيل ، فشمل الطريق المصلى التى كانت تفصل الضريح عن النيل وأصبح الضريح على حافة هذا الطريق العام • وعند الشيخ يوسف — كما عند كل الأولياء المقامة أضرحتهم بجوار النيل فى مصر — يرتبط شق ترعة أو طريق رئيسى بجوار الضريح بمعجزات يبديها الولى دائما(٥) • فقد حاول مهندس الرى — وهو ضحية هذه المعجزات فى جميع الاحوال — لاعتبارات علمية أن يغير مجرى النهر — الترعة — وكان يقتضى هذا التغيير باغراق الضريح ••• وشرع فعلا فى تنفيذ الخطة ، ولكن الفؤوس لم تعمل فى الارض ، وفشلت الخطة فشلا ذريعا فتقرر الغاء هذا المشروع • والابقاء على قبر الشيخ كما هو •

يرجع أقدم بناء للضريح رآه الاخبارى رقم (١) فى حياته الى ١٢٠ عاما تقريبا ، وفى أوائل هذا القرن ظهر الشيخ يوسف لوالد الاخبارى رقم (١) فى المنام(٦) وأوصاه بتجديد قبره المرة الاولى سنة ١٩١٩ فوجد

---

(٥) هذا العنصر Motif فى معجزات الأولياء واسع الانتشار جدا ، وقد قابلناه فى دراستنا هذه عند الشيخ داود الغرب ، قرية نزالى جنوب مدينة التوصية محافظة اسيوط ، انظر التقرير الخاص رقم (٥) فى هذا الفصل • على ان تصوير المعجزة فى هذه الحالة — اعنى معجزة الشيخ داود الغرب — كان اكثر خيالا واثرى تفاصيلا •

علاوة على هذا فانه يمكننا من الكتابات المختلفة عن الاولياء فى مصر ان نجمع عددا لا حصر له من الشواهد ، ابرزها محاولة بناء ضريح حديد للشيخ « ابو الحجاج فى الاقصر ، قارن كريس وغيره •

(٦) الظهور فى المنام هو الوسيلة الاساسية التى يستخدمها الاولياء ، ويستخدمها الموتى بصفة عامة ، لاخبار الاحياء برغباتهم • والرغبة فى تجديد القبر من الامور الشائعة فى المجتمع المصرى • يوصى بها الميت — فى المنام — ابنه أو صديقه •

الرملة المدفون فيها الشيخ يوسف ذات لون أبيض ، ويصل سمكها الى حوالى ستة أمتار ، وعثر على الهيكل العظمى للشيخ(٧) : طول عموده الفقرى أكثر من ثلاثة أمتار(٨) ، كانت جمجمته كبيرة هائلة الحجم • وقد وجد الاخبارى رقم (١) أنه مدفون بهذه المنطقة ـ تحت قبر الشيخ ـ أعداد طائلة من القتلى ، وقد تأيد ذلك الى جانب ما رآه الاخبارى رقم (١) بنفسه عند تجديد مقام الشيخ يوسف(٩) ، ما رآه كل الاهالى فى المنطقة المحيطة عندما يحفرون فى الأرض لوضع أساسات مبانى أو شىء من هذا القبيل(١٠) ، ويفسر الاخبارى رقم (١) وجود هذا العدد الكبير من القتلى بأنه دارت معارك أيام الفتح العربى فوق أرض المنطقة أو قريبا منها ، وأن الجيوش المتحاربة دفنت قتلاها فى هذه المنطقة المحيطة بالمقام •

كرامات الشيخ :

١ ـ من أشهر كرامات الشيخ حيلولته دون ازالة قبره واغراقه فى مياه النيل •

٢ ـ الظروف المدفون فيها ، لون الرمل وسمكه •• الخ •

٣ ـ الحالة التي كانت عليها رفاته •

---

(٧) أشار الاخبارى رقم (٢) الى انه ليس معروفا ما اذا كان الشيخ يوسف مدفونا كله ، أو بعض اعضاء جسمه فقط هى المدفونة فى مقامه .

(٨) سألت الاخبارى رقم (٢) عما اذا كان قد راى هذا الهيكل او سمع عن الواقعة من احد من اقاربه ، فاجاب بالنفى عن الشطر الاول . وبانه لا يذكر شيئا عن الشطر الثانى .

(٩) من العجيب انه لم يداخل الاخبارى رقم (١) وهو بصدد تجديد الضريح اى شك فى التعرف على جثة الولى من بين رفات الجثث المنتشرة فى المنطقة على حد معلوماته . ويبدو ان المقاييس التى اعطاها لهيكل الشيخ اما لاقناع نفسه ومحدثيه بحقيقة كون هذه الرفات للشيخ ، واما تعظيما للشيخ بصفة عامة : بوصفه كبير الحجم هائل الجثة ، وهو عنصر Motif يرد كثيرا فى الأدب الشعبى لوصف البطل .

(١٠) الدليل رقم (٤) أمن على كل تفاصيل هذه النقطة .

٤ — كان الشيخ يظهر لوالد الاخبارى رقم (١) فى المنام كثيرا جدا ، وكذلك الحال مع الاخبارى رقم (٢) نفسه ، وهو كما شاهدنا يعبر فى هذه المرات عن رغباته ، أو ينبئهم بوقائع ستحدث لهم فى المستقبل وقد صدقت جميعها ، أو يفسر لهم وقائع حدثت فى الماضى أو الحاضر .

٥ — أبرز وأشهر كرامات الشيخ انقاذ المدينة من الفيضان ، فقد حدث ذات مرة أن طغى النهر على مدينة ههيا ، واستغاث الاهالى بابن عنان لينقذهم ، فهبط النهر فى ههيا ، وعند ضريح أبيه فى « ميت أبو خالد » . وقد أشار الاخبارى رقم (١) الى « سر » أسرة أبو عنان فى حماية البلاد من الفيضان .

٦ — هناك عدد كبير من أهالى المنطقة رآه فى المنام فى ملابس حربية يحرس « الناحية »[١١] .

٧ — رآه بعض الناس فى المنام يؤم أولياء المنطقة الذين كانوا مجتمعين عنده[١٢] .

مولد الشيخ :

المعلومات التى حصلت عليها عن مولد الشيخ ناقصة ، فوق أنها مضللة . مصدر المعلومات الاخبارى رقم (٢) . حسب معلوماته لم يكن يقام للشيخ احتفال بالمولد فى الماضى الذى يعيه هو . وقد بدىء الاحتفال بذلك منذ نحو عشر سنوات ، وهو يقام فى ليلة شم النسيم . ويقول الاخبارى رقم (٢) عن تفسير ذلك ، ان الميعاد قد حدد على هذا النحو لصرف نظر أهالى البلدة عن الاهتمام بشم النسيم كعيد قبطى . ويتخذ الاحتفال بمولد الشيخ المظاهر الاخرى التى نجدها عند أولياء البلدة ولكن ربما بصورة مخففة .

---

(١١) لاحظ التأكيد بصور مختلفة على وظيفة الشيخ كرئيس للمنطقة .

(١٢) هذه الأفكار تعبر عن رأى أهل المنطقة فى الشيخ كرئيس لأوليائها، فهو الحامى الاول ، ومصدر البركة الاساسى .

تاريخ الاحتفال بالشيخ :

لم يكن يحتفل بالشيخ فى الماضى فى يوم محدد ، وانما كان الاحتفال (الذى يسميه الناس ويمكن أن نسميه تجاوزا مولدا) يقام فى فترة توفر اللبن (تقريبا ديسمبر — يناير من كل عام) • ويتضح من هذا أن اليوم لم يكن محددا وثابتا ولكنه يتفاوت تبعا للظروف • أما عن سبب ارتباط العيد بتوفر اللبن ، فذلك راجع الى طبيعة الاحتفال نفسه • ذلك أن أهالى الحى كانوا يتعاونون — ربما تبعا لمركزهم الاجتماعى — فى تقديم الطعام لزوار المولد وكانت وجبة الصباح عبارة عن لبن ومنتجاته فقط (لبن — أرز باللبن — جبن — قشدة ••• الخ) وكانت تسمى « صبيحة المولد » •

أما عن مظاهر الاحتفال فى هذه الصورة القديمة للمولد فلم نحصل على معلومات حولها • وانما المؤكد أن احتفال اللبن هذا — « صبيحة المولد » — قد اختفى الآن كمظهر هام من مظاهر الاحتفال بمولد الشيخ (راجع تقرير الأولياء فى قرية بنى واللمس) •

مظاهر الاحتفال الأخرى :

١ — حسب معلومات الاخبارى رقم (١) كان من عادة كثير من الناس أن يتناولوا طعامهم مع أصدقائهم وأقاربهم — من الذكور — عند الضريح كل يوم •• وقد اختفت هذه الممارسة تماما الآن •

٢ — يضاء الضريح كل ليلة جمعة ويؤدى الناس فيه صلاة الجماعة دون الارتباط بطقوس معينة كاقامة ذكر أو غير ذلك •

ملاحظات :

١ — لاحظ التأثير الواضح الذى مارسه الاخبارى رقم (٢) على عادة الشيخ فى الوقت الحاضر [illegible] ربما دون وعى [illegible] على تخليص المولد وسائر صور الاحتفال بالشيخ من الممارسات التقليدية

والعادات القديمة . ولعله يحسن بنا أن نقارنه هنا — مع التحفظ الشديد — بالسيد ب . ع . الذى كان له أكبر الأثر فى اضمحلال عبادة جده المدفون بالمنزل ، بحيث اختفت هذه العبادة تماما الآن ، وأصبح الشيخ لا يزار الا من أفراد الأسرة فقط .

٢ — يقوم على رعاية ضريح الشيخ يوسف بن عنان من الناحية المادية السيد ك (الاخبارى رقم ٢) وأهل الحى ، ويقوم على خدمة الضريح احدى السيدات — ذات المستوى الاجتماعى المتواضع — وهى التى تقوم بتحصيل النذور القليلة والمتواضعة التى تقدم للشيخ لمصلحتها . وهى التى تحمل مفتاح الضريح ، وتقوم بتنظيفه ... الخ .

٣ — الشيخ عبده قطورة وكيل شيخ السجادة فى ههيا ، يقيم فى الابراهيمية — مركز ههيا ويشرف على كل الأضرحة فى المركز .

٤ — المنطقة الواقعة عليها كل الأولياء فى ههيا تسمى الجزيرة البيضاء قارن التقرير الخاص بخادم الولى مصطفى أبو النحاس .

التقرير الرابع

اسم الولى : الشيخ / مصطفى أبو النحاس •
اسم القرية : ههيــا •
اسم المدينة والمحافظة : ههيا ــ شرقية •
اسم الاخبارى (١) : ع • ا • ٦٠ سنة تقريبا •
اسم الاخبارى (٢) : ب • ا •
تاريخ الزيارة : ٣٠ ديسمبر ١٩٦٤ •
علاقة الاخبارى (١) بالولى : خادم الضريح •
علاقة الاخبارى (٢) بالولى : القائم على رعاية الضريح ماديا •

حكاية الشيخ :

يقسم الخادم أولياء المنطقة بصفة عامة ألى أولياء صحابة ، وأولياء مستجدين • النوع الاول أرسخ فى الولاية وأوضــح ، أما الثانى فــلا يعترف بولايته بشكل كامل •

وطالما أن الخادم يفكر على هذا النحو ، فانه يجيب على أسئلتنا عن أصل الشيخ وقصته بأن يضعه فى النمط المعروف : من صحابة رسول الله، حضر الى ههيا من الجزيرة العربية مع الفتح الاسلامى لمصر •

وفى هذا السياق يورد الاخبارى (١) تفسيرا لاسم البلدة ، فقــد سأل الصحابة وهم قادمين من الجزيرة العربيــة فى جيش الفتح : أين الجزيرة البيضاء ــ يقصدون المنطقة الواقعة عليها ــ ههيا ــ قيل لهم ها هى ، ها هى ، ومن هنا ظهر الاسم ههيا(١) •

---

(١) يجب الاشارة فى هذا الصدد الى ان كثيرا من الاولياء المعروفين فى مصر والذين حضروا اليها من بلاد عربية او اسلامية اخرى ، كان اجدادهم او آباؤهم او هم انفسهم ــ قد علموا بوسيلة ما ــ حلم او هاتف .. الخ . انهم يجب ان يرحلوا الى مدينة او قرية كذا ، لان الولاية قد كتبت لهم فيها .

الضريح :

لم نحصل على معلومات عن تاريخ بناء الضريح الحالى • الضريح عبارة عن مبنى كبير الحجم نوعا — حوالى ١٠ × ٥ متر — له مدخل واحد، ويؤدى المدخل الى حجرة كبرى — ردهة الضريح ، وفيها يجتمع الناس للذكر والصلاة ، وحجرة أخرى أقل حجما هى المدفون فيها الشيخ •

أوضح ما فى الضريح وأجدره بالذكر أنه ليس له شاهد شأنه شأن كل مدافن وأضرحة الموتى والأولياء فى مصر •

وقال الخادم وكذلك الاخبارى (٢) انهم بصدد اقامة شاهد للضريح تفاديا لسير الناس بالأقدام على القبر ، هذا ويحتم الاخبارى (١) على كل من يدخل الحجرة المدفون بها الشيخ أن يخلع حذاءه ، رغم أنها ليست مفروشة بحصر أو سجاجيد للصلاة تحتم مثل هذا الاجراء •

ويلاحظ الاخبارى (٢) أن الأمر ليس مؤكدا فيما يختص بما اذا كان جسد الشيخ كله أو جزء منه هو المدفون فى الضريح ، فيقول البعض ان قدمه هو المدفون ، ويدعى البعض أن يده فقط هى المدفونة ، والأمر ليس مؤكدا • على أن الاخبارى (١) لاحظ على الفور أن جسد الشيخ كله هو المدفون • يقوم على تمويل الضريح الاخبارى (٢) وأسرته ، وعلى خدمته والعناية به الاخبارى (١) • ولما كان القائمون بالاشراف على الضريح لا يقبلون النذور لانهم فى ميسرة ، فهو مغلق بصفة دائمة ولا يفتح الا فى الظروف المشار اليها فيما بعد •

الكرامات :

أدلى الاخبارى (١) فى هذا الشأن بأن الشيخ يستغاث به فى كل شئون الحياة التى تحتاج الى معاونة : للمرض ، للنجاح فى امتحان أو عمل •• الخ • على أن جميع الجالسين (من بينهم المرشد فى الرحلة

وشبان من أهل البلدة من المتعلمين) قرروا أن الشيخ يستغاث به ـ بصفة أساسية ـ لعلاج الاناث من البهائم اللائى لا يلدن ، وكذلك البهائم المريضة (كأن يفسد لبنها ، أو يختلف طعمه عن المألوف •• الخ) • وقد أكد هذه البيانات الاخبارى (٢) ، ولكن الخادم عارض مثل هذا الزعم بشدة على اعتبار أن ذلك محطة واهانة فى حق الشيخ أن ترتبط كراماته بالبهائم •

المولد والصور الاحتفالية الأخرى :

١ ـ يقيم خادم الضريح (الاخبارى ١) مساء الاثنين من كل أسبوع حضرة « ذكر » لقراءة ربع دلائل الخيرات • ويشترك فى الحضرة ـ مع الخادم ـ حوالى عشرة من المتدينين •

٢ ـ أما عن المولد السنوى ، فلم نحصل على معلومات عن تاريخه • وكل ما علمناه فى هذا الصدد أنه كان يشترك فى احيائه بعض فرق الطرق الصوفية ، كالعزمية وغيرها ، بنشاطاتهم المعروفة •

الآن يقام المولد السنوى فى فصل الصيف ، ويتراوح تحديد اليوم فى الفترة ما بين أواخر ابريل وأوائل مايو • يلاحظ فى هذا الصدد أن عائلة الاخبارى (٢) هى التى تقوم بالاشراف على المولد من الناحية المادية وتمويله اذا احتاج الى تمويل •

الفصل الرابع

تقارير دراسات ميدانية لبعض المشتغلين بالسحر فى الريف المصرى

مقـــدمة :

يدور التقرير الاول من هذه المجموعة حول زيارة طويلة امتدت على مدى عدة أيام مع الشيخ أ • ر • بمدينة ههيا شرقية • ويعد هذا الشيخ من الفئة القليلة التى مازالت موجودة تمارس الاعمال السحرية بشكل احتراف خالص[1] • وسوف نرى من تقارير أحد المشتغلين بالسحر فى شمال الدلتا (قرية شرباص ــ دقهلية) أنه مازال يعمل باستخدام الآيات القرآنية أساسا ، ولم يعد أو ربما لم يعرف أصلا ، كيف يمارس العمل بالادوات السحرية التقليدية • ويقتصر الجانب السحرى لديه على استخدام الآيات القرآنية المختلفة فى الاغراض التى تتفق ومعناها اللفظى ، كما رأينا عند البونى على سبيل المثال • وكذلك استخدام اسم العميل واسم أمه ، وصورة الحجاب ، كأداة سحرية •• الخ • فعند هذا الساحر من شرباص تختفى تماما المربعات السحرية ، والاشكال ، والحروف ، والارقام ••• الخ • فلا وجود للعناصر السحرية الاحترافية • وانما يقتصر الساحر على مخاطبة الله ، فلا يخاطب الملائكة ولا الارواح ولا الخدم •

بينما نجد من ناحية أخرى أن ساحر الصعيد مازال يعرف الاسس

---

(١) جمعت مادة هذه التقارير خلال شتاء ١٩٦٤ / ١٩٦٥ من محافظات الشرقية والدقهلية ، والقاهرة ، واسيوط . وقد توفى اغلب هؤلاء « المشايخ » أو السحرة الآن ، فالشيخ ا . ر . مات منذ اكثر من عشر سنوات . وقبله ساحر ههيا الآخر ع . ن . اما مشـــايخ الدقهلية (شرباص) واسيوط فلم أتابع اخبارهم بعد هذا اللقاء .

السحرية « الكلاسيكية » ويمارسها ، وان كانت معرفته لها عامة وسطحية وغير دقيقة . اذ يملك هذا الرجل كتابا قديما من كتب السحر ، ويعرف طريقة كتابه الاحجبة وتعليمات استخدامها .. الخ . كما سيتضح من التقرير . وهو مازال يؤمن بفاعلية « الاعمال » التى يكتبها أو يصفها ، ويعرف استخدام البخور ، ودوره فى انجاح العمل ، ويستخدم الحروف والآيات القرآنية . ولكن الظاهرة العجيبة أن هذا الرجل لا يعرف استخدام اسم العميل واسم أمه فى العمل ، أو فى الحجاب الذى يكتبه . كما أنه يجهل دور بعض العناصر الهامة الاخرى فى العملية السحرية ، مثل عنصر الوقت المناسب .

وينتمى الى هذه المجموعة أيضا الشيخ ع . ن . من ههيا شرقية ، اذ لديه فكرة عن السحر الرسمى كما نعرفه عند البونى أو عند كبار مؤلفى الكتب السحرية ، ولكن هذه الفكرة غامضة هلامية غير محددة . وربما يرجع هذا الى شيخوخته التى أنسته بعض ما كان يحفظ ويجيد فى شبابه ، أو ربما يرجع الى قلة العملاء الذين يترددون عليه هذه الايام (وقت اجراء الدراسة) . وهو فوق هذا من نوع السحرة الذين تابوا أو يطلبون التوبة من الله ، وكفوا عن كتابة الاعمال السحرية للضرر والايذاء ، ولم يعد يقبل أصلا على استقبال عملاء لسحره ، واذا اضطر الى ذلك فلا يكتب الا أعمالا للخير وللشفاء والمصلحة والهداية ... الخ . وربما كان ذلك هو السبب فى ابتعاده عن استخدام العناصر السحرية الرسمية فى « أعماله » ، واعتماده بدرجة أكبر على الآيات القرآنية . والمهم فى حالته أنه مايزال يستخدم الاشكال السحرية فى « أعماله » ، كما يستخدم أسماء العملاء على النحو المعروف . كما أنه يعرف كتابة الاحجبة وتعليمات استخدامها شأنه فى ذلك شأن سائر السحرة المحترفين الذين سنكتب عنهم .

التقرير الاول ــ عن الشيخ أ • ر • ههيا شرقية

هذا الرجل كما أشرت من قبل ساحر محترف بالمعنى الصحيح تدلنا على ذلك كثير من الشواهد والتفاصيل التى لن يتسع المقام لحصرها هنا • فهو ينتمى الى ذلك النوع من السحرة الذين لديهم فكرة عن السحر الرسمى كما تعرفه المؤلفات الكلاسيكية ، كمؤلفات البونى أو ابن الحاج أو غيرهما • ولكن هذا لا يمنع أنه يخلطها ويمزجها بكثير من الخيال ويتدخل برأيه ويتصرف فيها ويلونها • وهو قصور راجع فى رأيى الى قصور نظام التلمذة بين المشتغلين بالسحر • وهو كذلك الساحر الذى استطعت أن أجمع عن حياته وظروفه أكبر قدر من المعلومات والتفصيلات• وقد استعنا فى هذا الصدد بعدد كبير من الاساليب وطرقنا عديدا من السبل كى نكون صورة واضحة عن شخصه وعن ممارسته لمهنته • فقــد اجتمعت معه ومع الدليل الذى أرشــد عملى داخل القرية عدة مرات ، واجتمعت معه بمفردى ، واجتمع معه الدليل جلسات طويلة شاقة لجمع شتات هذه المادة • وقد أثمرت هذه الوسائل مادة صوتية مسجلة على شريط ، وأخرى مدونة فى الميدان ، ومجموعة وفيرة من الصور ، علاوة على أصول الاحجبة والوصفات التى حصلنا عليها منه علاجا للحالات التى عرضناها عليه •

شخصــية الرجل :

عمره ٦٢ عاما (فى ديسمبر / يناير ١٩٦٤ ــ ١٩٦٥) ، ويعمل حاليا فى كتابة « الاعمال » السحرية أساسا ، فهى مصدر رزقه الرئيسى ، كما يعاون فى خدمة أحد المساجد المقامة حول ضريح أحد الاولياء ، ويعمل أحيانا مقرئا للقرآن بالاجر • وتتدرج هذه الاعمال بالترتيب الذى عرضته من حيث أهميتها فى توفير أسباب الرزق له • وهو متزوج بثانى زوجاته ، ولديه ثلاثبنات ، منها اثنتان متزوجتان ، أما الثالثة فمازالت تعيش فى بيت أبيها • والبنات الثلاث طبيعيات من الناحية العقلية ، فالشيخ له ولد

أبله عمره ٢٢ سنة • ويقال ان هذا الابن يحفظ القرآن ، ويعمل أحيانا مقرئا (فى قراءة « الرواتب » — يمر على البيوت يوميا لتلاوة جزء من القرآن لقاء أجر سنوى) •

وبهذه المناسبة يعتقد الشيخ أن ممارسة السحر كانت مصدر خطورة عليه وجلبت عليه وعلى أولاده الكثير من الاضرار والمتاعب • (يلاحظ أن الشيخ مكفوف البصر تقريبا) • فابنه الحى متخلف عقليا ، وتوفى له ولد آخر من قبل ••• الخ •

وقد تمكن الشيخ أ • من حفظ القرآن كاملا فى العام السادس عشر من عمره ، فقد كان أبوه مقرئا أيضا يحترف قراءة القرآن • وتزوج للمرة الاولى فى السابعة عشر من عمره ، وبدء حياته العملية بالعمل خادما فى أحد المساجد • وظل يمارس هذه الوظيفة مدة سبعة عشر عاما كاملة • ولكنه بعد ذلك ترك العمل فى المسجد ، واشتغل فى التجارة فى سلع صغيرة وتافهة• ولكنه تبين بعد فترة أن هذه المهنة لا تكفى للوفاء بمتطلبات معيشته على الوجه المطلوب • ولهذا قرر أن يتجه الى مزاولة « الكتابة » : أى العمل كساحر محترف • وهى مهنته الرئيسية حتى تاريخ لقائنا به ، وعلى امتداد حوالى ثلاثين عاما •

وأصبحت « الكتابة » مهنته الاساسية لمدة خمس سنوات كاملة • عاد بعدها الى المسجد ليعمل خادما فيه مرة أخرى (ربما بسبب امكانية حصوله على راتب شهرى منتظم من هذه الوظيفة) وقد أراد منذ بضع سنوات أن يترك عمله خادما فى المسجد ، ولكن الولى صاحب الضريح (الحاجة آمنة أم يوسف)(٢) المدفون فى المسجد « والذى يعد أكبر أولياء المنطقة » ظهرت له فى المنام ونصحته ألا يترك خدمة المسجد •

---

(٢) انظر تقارير الخبرات الميدانية فى فصل الاولياء ، حيث ورد الكلام تفصيلا عن الحاجة آمنة •

والرجل مدمن على عدة أنواع المخدرات منذ فترة ، وهذا الامر ليس من السهل اخفاؤه فى مدينة صغيرة كهذه • وقد اعترف هو نفسه بأنه يتعاطى الحشيش والافيون • وبناء على سؤال مباشر ، أجاب بأن الارواح التى يتعامل معها لا تعترض على تعاطيه هذه المخدرات • ولكنه لا يتعاطى المشروبات الكحولية ، ولا يتناول أى مأكولات أو مشروبات تغضب الله ، كما أن « خدام السورة » لا يسمحون له بتعاطى أى محرمات(٣) • وقد كان يتعاطى « البوظة » فى الماضى لفترة من الوقت ، ولكنه أقلع عن شربها لان « الخدام » أمروه بذلك • ومن الواضح أن ادمان هذه المخدرات بما تتكلفه من مصروفات باهظة جعلت الرجل يعيش فى ظروف مادية غاية فى السوء ، رغم دخله المرتفع — نسبيا — من ممارسة مهنة السحر •

حياته العملية :

من الواضح كل الوضوح أن الفقر وسوء الظروف المادية كانت الدافع الاول والمباشر لاقبال الرجل على ممارسة السحر كمهنة • والمقصود هنا بالطبع الفقر النسبى ، لان مهنة قراءة القرآن، أو التجارة، من المؤكد أنها تيسر له معيشة أفضل من معيشة كثير من الفلاحين الفقراء فى قريته الذين يعيشون فى ظروف بالغة السوء • ولكن ليست لدى أغلبهم حاجة قاتلة الى المال ، لانهم يجدون القليل الذى يأكلونه ،وليست لهم مطالب خاصة •

ولكن ادمان صاحبنا منذ شبابه على تعاطى المخدرات جعله فى حاجة دائمة وملحة الى المال ، وبكميات تفوق متوسطات المعيشة المألوفة فى مجتمعه • وتلك فى رأيى حقيقة هامة لابد من أن نضعها فى الاعتبار ، لان هذا الرجل لم يأخذ مهنة « الكتابة عن أبيه أو عن صديق أو قريب له •

---

(٣) لاسبيل الى اعترافه بشرب الخمر ، نظرا لخشيته الشديدة من تحريم الخمر ، وان كان الرأى الشعبى لا يتحرج من الحشيش وأمثاله تحرجه من الخمر ، بسبب النص الصريح على تحريمه . ولم نهتم بالتثبت من هذه النقطة ، فاعترافه عن الحشيش والافيون يكفى ..

ولكنه اتجه اليها عامدا متعمدا ، والتمس أصولها واعيا ، وهو أمر نادر الحدوث نسبيا ، لانه عملية دخول شخص « دخيل على المهنة » ، وهى مهنة مغلقة نسبيا ، بسبب ما يحوطها من أسرار وقيود ونظرة سلبية من جانب الناس .

أوضح الموقف بالقول بأن هذا الرجل قد أخذ منى فى مقابل انجاز العلاج المبدئى ، والذى أنجزه فى وقت لا يتجاوز ساعتين الى ثلاث ساعات جنيهين مصرين (عام ١٩٦٤) وهو يوازى فى ذلك أجر عامل زراعى لمدة شـهر كامل يؤديها فى عمل بدنى شاق . ولكن الشـيخ لم يقنع بهذين الجنيهين ، وأخذها بعد اعتراض ، وعلى وعد بأنه سيحصل على عشرة جنيهات على الاقل بعد حدوث الشفاء وتحقق الغرض المطلوب (كما سنوضح تفصيلا فيما بعد) . وتلك الاجور يتلقاها الرجل بالفعل من سائر عملائه ، من المتيسرين أساسا ، من داخل القرية وخارجها ، خاصة عندما تتحقق لدى أحدهما « نتيجة ايجابية » للعلاج .

وفى رأيى أن البيانات التى أدلى بها الرجل عن وسائل وطرق تعلمه مهنة السحر وأسباب ذيوع شهرته بين الناس بيانات غير دقيقة وبعيدة عن الحقيقة . ولذلك سنحاول أن نستكمل ثغرات حديثه من معرفتنا بظروف التلمذة بين المشتغلين بالسحر . فقد حصل الرجل على أحد الكتب السحرية من خلال وساطة صديق أو بنفسه من الزقازيق (تبعد عن بلده حوالى عشرين كيلو مترا فقط) . ومن المحتمل أن يكون قد نجح فى استكمال وتأكيد المعلومات التى حصل عليها من هذا الكتاب عن طريق عدة زيارات لأحد السحرة الممارسين فعلا ، والعاملين فى مدينة الزقازيق[٤] . أما عن

---

(٤) سوف نلاحظ فيما بعد ان هناك بعض السحرة المحترفين من مختلف انحاء المنطقة يقومون بزيارات للشيخ أ. ر. ، فمبدأ الزيارات بين زملاء هذه المهنة من الامور الشائعة والملحوظة . وعن هذا الطريق يمكن أن تنتقل بعض المعارف من الاقدم الى الاحدث فى سلك المهنة .

التعريف بنفسه ، وترويج القصص عن كفاءته ونجاحه فلابد أن يكون قد قام بهما بنفسه من خلال زياراته الكثيرة لقطاع كبير من بيوت القرية ، أيام كان يعمل فى تجارة الخردوات ويمر بسلعه على البيوت • ولا شك أن هذه الوسيلة الدعائية كانت شديدة الفعالية فى تحقيق هذا الهدف • وقد أتيحت له قبل تلك الفترة وبعدها فرصة قراءة « الرواتب » فى البيوت ، ولذلك يحتمل أن يكون قد استفاد أيضا عن هذا الطريق فى بناء سمعته وترويج الاقاصيص عن نفسه •

ويحكى الشيخ أنه قد سمع بفضل سورة يس من خلال الحديث الشريف (يس لما قرئت له) ، وقد عمل على الانتفاع بها عن طريق استخدام « الخدام » (الاوراح) المكلفين بها • كما يقال بعد ذلك انه قرأ عدداً من الكتب ، دون أن يحدد بشكل واضح نوعية هذه الكتب • وهكذا ظل يردد هذه السورة سنوات طويلة الى أن جاءه خدام تلك السورة ، وظهروا له •

وأخذ الخدام يحددون له كل شيء فى حياته ، فيرسمون له كيف يتصرف فى كل صغيرة وكبيرة ، ويتدخلون فى كل حركاته وسكناته ، فيما ينبغى أن يفعله وفيما ينبغى أن يتركه(٥) • كما أنهم هم الذين يخبرونه بالعلاج المناسب فى كل حالة، ويطلعونه على حقيقة موقف العميل أو حقيقة مرضه ان كان مريضا • بل انهم كانوا يأمرونه فى بعض الاحيان أن يحول هذا المريض أو ذاك الى طبيب « دنيوى » (على أساس أن الشيخ يعتبر نفسه طبيبا روحانيا) ، وكانوا كذلك يحددون له اسم الطبيب الذى ينبغى

---

(٥) يعد هذا الوضع شاهدا على تطور حديث كل الحداثة ، لا نعرفه من التراث السحرى المكتوب ، ولا من روح هذا التراث . فالخدام لم يعودوا خداما بمعنى الكلمة ، وانما أصبحوا سادة ومعلمين للساحر ، على نحو ما رأينا من حديث الشيخ . ومن اللافت للنظر اننا نجد ملاحظة بهذا المعنى فى نهاية كتاب شموس الانوار لابن الحاج ، ص ١٤٩ — ١٥٠ .

أن يتوجه اليه المريض(٦) .

وقد كان الشيخ يستخدم فى بادىء الامر وسيطا لكي يتصل عن طريقه بالارواح (يلاحظ هنا أنه يستخدم كلمة أرواح ، بدلا من الكلمة التى كان يستخدمها قبل ذلك : خدام) . وكان فى تلك الفترة — فى مبدأ ممارسته للمهنة — يستخدم هؤلاء الأرواح للخير وللشر على السواء ، وهو أمر كان يسبب أضرارا للوسيط الذى كان يستخدمه . الى أن جاء وقت نصحه فيه خدام سورة يس بعدم استخدام الوسيط(٧) .

وكان الشيخ قد ادعى فى حديث سابق أنه لا يعمل الا للخير فقط، ولا يسخر خدامه للشر أبدا . ومفهومه عن الخير هو ما يلى على سبيل المثال : التوفيق بين شخصين متخاصمين ، وشفاء (حل) المربوط ، وشفاء المريض ، و « تحقيق أى رغبة لأى شخص » ... الخ . فهو لا شأن له بخدام الشر ، ولهذا السبب يجد طريقه مملوءا بالنور وهو عائد ليلا الى منزله . وهو يعتقد أن خدام سورة يس هم الذين يضيئون له الطريق .

وبين الحين والآخر يتردد عليه بعض زملائه فى المهنة ، يسألونه

---

(٦) من الجدير بالذكر بهذه المناسبة أن المدينة بها مستشفى وعدد كبير — نسبيا — من العيادات الخاصة . ومنذ عشر سنوات قبل اجراء هذه الدراسة (حوالى ١٩٥٥) تم توسيع هذه المستشفى وتحديثها ، بحيث اصبح بامكان اى شخص أن يستمتع بعلاج مجاني من كل نوع . وقد طلب الدليل المصاحب لى فى هذه الزيارة من امرأة كبيرة أن تذهب لاستدعاء الشيخ لحاجتنا اليه . فتطوعت من نفسها وطلبت منا أن نذهب الى المستشفى (او الى الطبيب) « لانه هو اللى حاينفع » . وحكت لنا قصة احدى صديقاتها التى ذهبت اولا الى الشيخ ، ولكنه لم يستطع ان يعالج مرضها ، فذهبت عقب ذلك الى المستشفى حيث اجريت لها عملية جراحية وشفيت من المرض الذى كانت تشكو منه .

(٧) يتضح من هذه النقطة ان خدام الشر ليسوا هم خدام السورة . وحسب مصطلحات البونى — وغيره من مؤلفى الكتب السحرية الكلاسيكية — فخدام سور القرآن هم الارواح العلوية ، وخدام الشر هم الارواح السفلية . ولكن من الواضح ان الشيخ ا . ر . لايعرف هذا الفرق فى التعبير أو فى المسميات .

النصيحة والرأى ، كما يطلبون منه المساعدة فى هذا الامر أو ذاك . ولم نحصل على بيانات محددة عما اذا كان هؤلاء السحرة من القرية أو من قرى أقرب أم أبعد .

وهو يمارس مهنته فى بيته أساسا . حيث يحضر اليه العملاء ، وهو لا يخرج لزيارة عميل فى بيته الا فى القليل النادر . وهـو يبرر رفضه للانتقال بأنه يجب أن يعمل منفردا بعيدا عن أعين الناس ، وهو أمر لايمكن أن يتحقق الا فى بيته . ويجب أن نتذكر هنا أن الشيخ أ. ر. شبه كفيف البصر تماما ، ولذلك فانه لا يستطيع أن يتأكد وهو يعمل (يستحضر الخدام) ما اذا كان هناك أشخاص غرباء فى المكان أم لا .

أما عن ظروف عمله الحالية فقد علمنا أن عدد عملائه قد تناقص بشكل واضح فى السنوات الاخيرة . وأصبح من النادر أن يتردد عليه من المدينة (هميا) التى يعيش فيها . وأغلب العملاء الذين يترددون عليه يأتون من قرى المركز المجاورة ، حيث مايزال يحتفظ بسمعة طيبة هناك . ويمكن القول بوجه عام بأن دخله من عمله مازال معقولا . فأهل مدينته مايزالون يذكرون أعماله القديمة والنجاح الذى استطاع أن يحرزه طوال الاعوام الثلاثين الماضـية . ولكنهم يتفقون جميعـا على أن الطبيب والمستشفى أصبحا أكثر كفاءة وأكثر فائدة اليوم . ويجب أن أضيف هنا أن المرأة الفقيرة التى نصحتنا بعدم زيارته وعدم اللجوء اليه للعلاج ، هى نفسها قد جعلت ابنها الوحيد يطلق زوجته بعد زواج استمر ثلاث سنوات بناء على نصيحة الشيخ أ. ر. ذلك أن زوجة ابنها لم تنجب خلال السنوات الاولى من حياتها أطفالا ، وأعلن الشيخ بعد « قياس أثرها » أن « رحمها مغلق » وأنها لذلك لن تستطيع انجاب أولاد . وبناء على تلك النصيحة جعلت ابنها يطلق زوجته ولكن الظروف حولها قد تغيرت الى الحد الذى جعلها لا تتردد عليه وتنصح الآخرين الا يترددوا عليه .

الحالات التى طلب من الشيخ الرأى فيها :

كلفتنا احدى السيدات (أرملة عمرها حوالى ٤٠ عاما من مستوى اجتماعى منخفض لا تعرف القراءة والكتابة وعلى علاقة وثيقة عمادها الثقة المطلقة مع الدليل المرافق للدراسة) اللائى على علاقة سابقة بالشيخ، كما أنها تجاوره فى السكن — بالسعى لديه وسؤاله عن اللازم عمله فى حالتين :

الحالة الاولى: زوجة لا تنجب ، ومهددة بالطلاق من زوجها لهذا السبب .

الحالة الثانية :شخص معتقل ، ولم يصدر عليه حكم بعد ، ومطلوب الافراج عنه .

بعد حوالى عشر دقائق حضر الشيخ أ . ر . للتفاهم معنا ، والسؤال عن « أثر » الحالات المطلوب علاجها . صرح أولا بأنه فى الحالة الاولى يكفى وجود « أثر » لاحد الزوجين ، على أساس — كما قال — أن عملية الاستدلال بالاثر أقوى وأكثر فعالية وأنجح من الاستدلال بالاسم فقط ، وذلك لوجود أعداد لا حصر لها تحمل نفس الاسم وتحمل أمهاتهم أيضا نفس الاسم(٨) .

أعطينا الشيخ الاثر للزوج والزوجة : للزوج عبـارة عن منديل المرشد ، وللزوجة عبارة عن فردة شراب الدليل المرافق للباحث . وبعـد أن طلبنا من الشيخ أداء الخدمة المشار اليها ، تحفظ بأنه سيأخذ الاثر

---

(٨) الفكرة خلف هذا الاعتقاد : أن هناك دفترا محصيا فيه اسم كل الاشخاص ومرصودة فيه كل أحوالهم ، ومطلوب من الخادم البحث عن حقيقة حال هذا الشخص من هذا الدفتر ، وللكثرة الهائلة فى الاعداد ربما يؤدى الاسم فقط الى حدوث التباس . والمفروض أن الاثر يعاون فى هذا ويقطع بحقيقة الشخص .

ويسأل (الخدام الذين يستخدمهم) عما اذا كان بوسعه هو أن يساهم فى علاجهم أم لا بادىء ذى بدء •

واللافت للنظر أن الشيخ لم يشر من قريب أو بعيد الى الحالة الثانية (الشخص المعتقل — يلاحظ القارىء تاريخ الدراسة : ديسمبر ١٩٦٤) ، ولم يبد أى رغبة فى الحديث عن هذا الموضوع • وكان من الممكن أن نعتبر هذا الامر موقفا شخصيا أو أمرا فرديا ، ولكننا سنلاحظ عند ساحر شرياص (فى تقرير لاحق) أنه عزف هو الآخر تماما عن التصدى لموضوع شخص قيل له انه موجود فى اليمن آنذاك • فواضح اذن أن سحرة اليوم لا يحبون الخوض فى مجال اختصاص الحكومة من قريب أو بعيد ، على عكس ما رأيناه فى الفصل الخاص بأغراض الممارسة السحرية • حيث كانت تلك الموضوعات من أبرز الاستخدامات العملية للسحر فى تراث النوبى وغيره من السحرة الرسميين • ولكن من الواضح أن تطور نظام الدولة وسيطرة قوانين عامة ••• الخ • كل ذلك دفع مثل هؤلاء الناس الى تحاشى الخوض فيما يخص الدولة ومؤسساتها من قريب أو بعيد •

وأخذ الشيخ أ • ر • أثرى الزوجين ، وذهب لفتح المندل ، وسؤال الخادم • وحضر بعد ربع ساعة وقرر الآتى :

بالنسبة للزوجة : لا مرض لديها ، وكل شىء طبيعى وسليم ، وعلى أثر ذلك رد الينا الاثر •

بالنسبة للزوج : قرر أنه مرض من أثر صدمة ناشئة عن خوف مفاجىء (خضة ، طربة : انضرب) . وعلى ذلك فانه أولا سيحتفظ بالمنديل « الاثر » ، ثانيا سيقوم بالعلاج وهو ذو شقين :

(أ) علاج مكون من :

١ — بخور ليلى قبل النوم فى الجلباب •

٢ — حجاب يبل فى الماء ويشرب الماء •

٣ — حجاب يغلى فى ماء ويستحم به •

ويستمر هذا العلاج أسبوعا ، وتعطى البخور والاحجبة فى عبوات من الورق لكل ليلة عبوة خاصة من كل نوع •

(ب) وقاية وحماية : حجاب للتحصين « تحويطة »(٩) •

بعد ذلك طلبنا من الشيخ التعجيل باعطائنا هذه الاشياء ، فقال ان ذلك ممكن بالنسبة للعلاج ولمدة أسبوع ، ولكن بالنسبة للتحويطة فان الانتهاء منها يستغرق ثلاثة أيام عمل • ولكنه وعد بانجاز العلاج المذكور وتحويطة مؤقتة تصلح لشهر أو شهرين فى ظرف أربع وعشرين ساعة •

وهكذا تسلمنا منه فى النهاية العلاج التالى :

١ — ثمانية ورقات بخور منها واحدة احتياطى ، والبخور لمدة سبعة أيام قبل النوم ، وبعد لبس جلباب النوم ، لكى يدخل البخور فى الجسم(١٠) •

٢ — ثمانية ورقات شرب على الريق (منها واحدة احتياطية) • ويكفى مجرد بل الورقة فى فنجان ماء ورد ، ولا يتحتم ذوبان الورقة فى الفنجان ، لان « السر » ينزل فى الفنجان بمجرد البل •

---

(٩) يلاحظ القارىء هنا الاطار المرجعى لفكرة التحويطة : العلاج كما فى فقرة « أ » يؤدى الى اخراج « العارض » = المرض من الجسم • المرض يسببه فى هذه الحالة جنى أو روح • الوقاية تستهدف حماية الجسم وتحصينه ضد دخول جنى آخر فيه •

(١٠) وقد جعلت وحدات العلاج ثمانية بدلا من سبعة لاحتمال فقدان بعضها • ويزعم الناس — كما يقول الشيخ ان الشيخ نفسه الذى عملها هو الذى يرسل الخدام لسرقتها • ولكن ساحرنا ينفى ذلك عن نفسه • ويقول ان العلاج يفقد لانه ضد الخدام الارضيين ، وهم الذين يسرقونه ، ولذلك وجب عمل عدد أكبر من ناحية ، كما يجب الحرص عليها من ناحية أخرى •

٣ ــ ثمانية « ورقات حموم » (للاستحمام) من بينها واحدة احتياطية ٠

وتتم عمليات البخور والشرب والاستحمام كلها لمدة أسبوع واحد ، ثم يلى ذلك :

٤ ــ تحويطة مؤقته لمدة شهر ٠ ووعد بأنه سيعمل واحدة أخرى يظل مفعولها مستمرا على الدوام ٠ وقد أرسل التحويطة المستديمة بعد ذلك ٠

هذا وقد نشرت الصور الاصلية لهذه الاوراق ، وترجمتها ودراسة لها من وجهة نظر السحر الرسمى ، ومناقشة مفصلة لمحتوياتها فى رسالتى عن « استخدام أسماء الله فى السحر » التى سبقت الاشارة اليها ، على صفحات ٣٠٠ ــ ٣١٤ ٠